

التلويح الحواري في الخطاب الديني (كتاب التوحيد للشيخ الصدوق أنموذجاً)

الأستاذ المساعد الدكتور
عامر عبد المحسن السعد
جامعة البصرة - كلية الآداب

المدرس المساعد
محمد صادق الأسدي
الكلية الإسلامية الجامعة - النجف الأشرف

مقدمة:

فتحت دراسة التلويح الحواري المجال الواسع أمام محللي الخطاب، فقد مكّنت من فهم ما لم تستطيع الدلالة التعبير عنه، فإذا كانت دلالة العبارات تتغير على وفق استعمالاتها، فإن هذه التغيرات تفسّر عن طريق الدلالة الثانوية المتمثلة في التلويح الحواري (المرتبطة بقواعد التخاطب)، أو الاستلزمات التواصلية المرتبطة بها^(١). فالحوار عملية عقلية تجري على وفق أسس مخطط لها مسبقاً. فلم يعد يُنظر إلى الحوارية اللغوية في اللغات الطبيعية بأنها اعتباطية في ظل الدراسات اللسانية والتداولية. قد جاءت هذه الدراسة للإجابة على الأسئلة التالية:

- كيف تتم عملية التلويح في حد ذاتها؟ أي كيف يمكن لجملة ما أن تحمل فضلاً عن معناها المباشر المدلول عليه بصيغتها معنى آخر؟
 - كيف يمكن التنبؤ بالمعنى الذي تلوح به الجملة تخاطبياً؟
 - ما هو بالضبط المعنى الملوّح به في كتاب التوحيد للشيخ الصدوق؟
- ولذلك أقتضى تقسيم البحث إلى مبحثين:

المبحث الأول: تعريف بنظرية التلويح الحواري وآليات استكشاف المعاني الملوّح بها في الخطاب، والمبحث الثاني: استكشاف المعاني الملوّح بها في كتاب التوحيد وفق نظرية غرايس وسيرل (أفعال غير المباشرة)

المبحث الأول

١- مفهوم التلويح وآلياته:

أ- نظرية غرايس التخاطبية

لقد فتح (غرايس) الباب لدراسة التلويح الحوارية، بعد أن ألقى محاضرات في جامعة هارفرد سنة (١٩٦٧م) بعنوان (المنطق والتخاطب)، ومحاضرات سنة (١٩٧١م) بعنوان (الافتراض المسبق والاقتضاء التخاطبي)^(٢).

فأسس نظرية التلويح الحوارية ((لتسد ثغرة في مجال علم الدلالة والعمليات، فقد زودتنا النظرية بتفسير واضح لمسألة عويصة شغلت اللغويين - ألا وهي: كيف يتسنى لنا أن نعني أكثر مما نقول فعلاً))^(٣).

لقد وجد غرايس الناس في بعض حواراتهم قد يقولون ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر مما يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون، ويمكن توضيح الفكرة التي انطلق منها غرايس بالحوار الآتي بين الاستاذين (أ)، و(ب):

١- أ: الاستاذ (أ) هل الطالب (ج) مستعد لمتابعة دراسته الجامعية، في قسم الفلسفة؟

ب - الأستاذ (ب): إن الطالب (ج) لاعب كرة ممتاز.

إن كل ما يستطيع علم الدلالة الإجابة عنه أن يخبرنا عن هذه المحادثة القصيرة هو أن هناك تفسيراً واحداً يمكن الإجابة عنه، على النحو الآتي:

٢- أ- هل الطالب (ج) يمتلك القدرة الذهنية اللازمة للدراسة في قسم الفلسفة، وبما أنك مطلع على مستواه يمكنك الإجابة.

ب - الطالب المذكور هو لاعب متميز.

ولكن إذا تأملنا الحمولة الدلالية لإجابة الأستاذ (ب) وجدنا أنها تحمل معنيين، أحدهما حرفي، وهو ما تقدم، ومعنى مستلزم وهو أن الطالب المذكور ليس لديه القدرة الذهنية لمتابعة دراسته في قسم الفلسفة^(٤).

تنصّ نظرية (التلويح الحوارية) عند (غرايس) على أن التواصل الكلامي محكوم بمبدأ عام أسماه (مبدأ التعاون-Co-Operative Principle) بين المتكلم والمخاطب، صيغته: ((أجعل إسهامك الحوارية، حين تُدلي به مناسباً للاتجاه والغاية المتوخاة من المحادثة التي

التلويح الحوارية في الخطاب الديني (كتاب التوحيد للشيخ الصدوق أنموذجاً).....(٢٢٥)

تشارك فيها))، وهذا المبدأ يشتمل على أربعة قواعد توجب تعاون المتكلم والمخاطب على تحقيق الهدف من الحوار، ويمكن أن تطبق بنجاح على الأقوال كلها، حتى المتخيلة منها^(٥):

أما القواعد الأربعة التي فرعها غرايس، فهي^(٦):

أولاً: قاعدة الصلة أو المناسبة (Maxim of Relation) ونصها: ((ليكن كلامك مناسباً أو ذو صلة بموضوع الحديث)).

ثانياً: قاعدة الكمية (Maxim of Quantity)، وتنقسم إلى قسمين:

أ- اجعل إسهامك في المحاورة مفيداً بالمعلومات بالقدر المطلوب.

ب- لا تجعل إسهامك بالمعلومات أكثر مما هو مطلوب.

ثالثاً: قاعدة النوعية (Maxim of Quality)، وتنقسم إلى قسمين:

أ- لا تقل ما تعتقد أنه غير صادق.

ب- لا تقل ما ليس عندك دليل كافٍ على صدقه.

رابعاً: قاعدة الأسلوب (Maxim of Manner)، وتنص على الآتي:

أ- تجنب الغموض.

ب- تجنب اللبس.

ج- تكلم بإيجاز.

د- ليكن كلامك مرتباً بالتسلسل.

إن هذه القواعد وإن لم يلتزم المتكلمون بها في خطابهم اليومي على المستوى السطحي الظاهر، ولكن ((يفترض المستمعون بأننا نلتزم بالقواعد على مستوى من المستويات، في الأقل، فقد نخالف أو نستغل القواعد عن قصد معتمدين على افتراض المستمع بأننا لا بد أن نطيعها على مستوى آخر))^(٧)، ومن ثم يعمل فكرهم للتوصل إلى ما نقصده، فهي تسمح باستنتاجات ((تتجاوز المحتوى الدلالي للخطاب، لأن تأويل جملة ما غالباً ما يتجاوز كثيراً الدلالة التي نعرفها بالمواضعة، ولهذا السبب يمكن التمييز بين الجملة والقول، فالجملة هي

(٢٢٦)..... التلويح الحوارية في الخطاب الديني (كتاب التوحيد للشيخ الصدوق أنموذجاً)

سلسلة من الكلمات التي يمكن لزيد أو عمرو أو صالح التلفظ بها في ملابس مختلفة ولا تتغير بتغير هذه الملابس، أما القول فهو حاصل التلفظ بجملة، وهو يتغير بتغير الملابس (والقائلين)^(٨). ولاكتشاف مضمون الاستلزام الخطابية الذي أصدره المتكلم يجب على المخاطب أن ينجز استدلالاً، خطاطته العامة كالآتي^(٩):

أ- تكلم المتكلم كلاماً.

ب - ليست لدى المخاطب أسباب تجعله يفترض أن المتكلم لا يستحضر القواعد التخاطبية، أو على الأقل مبدأ التخاطب.

ج - افتراض احترام المتكلم لمبدأ التعاون والقواعد التخاطبية يستلزم أنه يعتقد المعنى الذي توصل إليه المخاطب.

د - يعتقد المتكلم أن المخاطب يدرك افتراض المعنى الذي توصل إليه المخاطب.

هـ - لم يفعل المتكلم شيئاً يمنع المخاطب من اعتقاد المعنى الذي المتوصل إليه.

و - يريد المتكلم إذن من المخاطب اعتقاد هذا المعنى.

ز - قام المتكلم بإظهار هذا المعنى.

وقد تعددت تعريفات مفهوم التلويح الحوارية في دراسة التداولية منها أنه: ((عمل المعنى أو لزوم شيء عن طريق قول شيء آخر، أو قل إنه شيء يعنيه المتكلم ويوصي به ويقترحه، ولا يكون جزءاً مما تعنيه الجملة بصورة حرفية))^(١٠)، وعرفته (أريشيوني) بأنه ((عملية قد تطلق على كل قضية مضمرة نستطيع استخراجها من ملفوظ ما، واستنباطها من محتواه الحرفي ونحن ننسق الوضع المتغير))^(١١). وعرف كذلك بأنه: ((هو الاستدلال الذي يجب أن نتوصل إليه لكي نحافظ على افتراض التعاون))^(١٢).

وقسم غرايس الاستلزام الحوارية إلى قسمين:

أولاً: الاستلزام العام - Generalized: وهو ما يحدث عند خرق المتكلم أحد مبادئ التعاون، ولا يتطلب سياقاً معيناً^(١٣)، ويراد بالسياق هنا مفهومه التداولية، وهو ((الطاقة المرجعية التي يجري القول من فوقها، فتمثل خلفية للرسالة تمكن المتلقي من تفسير المقولة

التلويح الحوارية في الخطاب الديني (كتاب التوحيد للشيخ الصدوق أنموذجاً).....(٢٢٧)

وفهمها))^(١٤)، فيتولد بغض النظر عن سياق الحوار الذي جرى فيه تبادل الخطاب بين الطرفين^(١٥).

ثانياً: الاستلزام الخاص -Particularized: هو ما يتولد على وفق سياقات خاصة محددة، لكي يتم التوصل إليه^(١٦)، لأنه يتعلق بالمناسبة، إن أغلب حالات الاستخفاف المتعمدة بالقواعد أو استغلالها هي من حالات الاستلزام المخصص، وذلك أن التهكم على سبيل المثال، يتطلب سياقاً خاصاً ومعلومات متبادلة تساعد على تأكيد المعنى المقصود للكلام^(١٧)، وكذلك الاستلزمات التي تحصل من إطاعة قاعدة الصلة والتقيد بها هي من الاستلزمات المخصصة، لأن الكلام لا يكون ذا صلة إلا بالنسبة لموضوع أو قضية محددة ضمن سياق محدد^(١٨).

ب - الأفعال اللغوية غير المباشرة:

توصل (سيرل) Seall إلى وجود أفعال كلامية دلالتها الإنجازية لا تظهر صريحة في عبارة المتكلم فهيئتها التركيبية لا تدل على زيادة في المعنى الإنجازي الحرفي، وإنما الزيادة فيما اطلق عليه معنى المتكلم، والوصول إلى دلالتها الإنجازية تحتاج إلى قواعد استدلالية^(١٩) وانتهى (سيرل) في تحليله لأفعال الكلام غير المباشرة إلى عدد من الملاحظات والنتائج المهمة، نوجزها فيما يأتي^(٢٠):

١- يمتلك المنطوق الواحد قوتين إنجازيتين:

أ- قوة إنجازية حرفية.

ب - قوة إنجازية مستلزمة.

٢- في الأفعال الكلامية غير المباشرة يبلغ المتكلم أكثر مما يقوله.

٣- كان السبب الأكبر وراء الأفعال الكلامية غير المباشرة التأدب في الخطاب أو متطلبات الكياسة، فكانت الأفعال التوجيهية الأكثر فائدة في هذه الدراسة، لأنها تخفف من ثقلها.

وترتبط الأفعال اللغوية غير المباشرة بمقصد المتكلم ويظهر ذلك من السياق، وبالأخص

السياق الاجتماعى لكلا الطرفين؛ لأنه يحدد العلاقة بينهما لوجود ((صلة وثيقة بين الفعل الكلامى ودور المتكلم الاجتماعى، وهذا يدعونا بدوره إلى القول بأن تفسير كل من الغرض والقوة الإنجازيتين تفسيراً صحيحاً، يعتمد على صيغة المنطوق اللغوية وعلى فهم الشبكة الاجتماعية فى آن معاً))^(٢١)، فيتوصل إلى المعنى المقصود عن طريق البنية اللغوية للملفوظ والعملية الاستدلالية التى قام بها المتكلم، وبذلك يكتشف غير المنطوق من دون أن تكون بينهما علاقة منطقية^(٢٢).

وهذا لم يكن غائباً عن علماء البلاغة، قد ذكر السكاكى ذلك عند حديثه فى الاستفهام الخارج إلى غير معنى الاستفهام، بقوله: ((وإذا قلت لمن تراه لا ينزل: ألا تنزل فتصيب خيراً أمتنع أن يكون المقصود بالاستفهام التصديق بحال نزول صاحبك لكونه حاصلًا، ويوجه بمعرفة قرينة الحال نحو: ألا تحب النزول مع محبتنا إياه؟ وولد معنى العرض، وكما إذا قلت لمن تراه يؤذى الأب (أفعل هذا) أمتنع توجيه الاستفهام إلى فعل الأذى لعلمك بحاله، وتوجه إلى ما لا تعلم مما يلابسه من نحو: أمتحسن؟ وولد معنى الإنكار (والزجر...))^(٢٣)، وكذلك فصل الحديث عن المعانى الخمسة للإنشاء عنده ((الاستفهام والنداء، والتمنى، والأمر والنهى، وقد وضع لكل هذه الأساليب قواعد تحدده وتضبط إجراءه و)) (ليحترز بالوقف عليها عن الخطأ فى تطبيق الكلام على مقتضى الحال ذكره)^(٢٤).

والجرجانى أطلق عليه ((معنى المعنى)) الذى يتحقق فيه المراد إبلاغه إلى المخاطب بقوله: ((نعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ والذى يتصل إليه بغير واسطة، وبمعنى المعنى أن تعقل من اللفظ معنى ثم يفضى بك ذلك المعنى إلى معنى آخر))^(٢٥)، وهذا نفس ما قصده سيرل من القوة الحرفية والإنجازية غير المباشرة، كذلك بين علماء البلاغة المعانى المترشحة عن الأساليب الإنشائية من (الأمر، والنهى، والاستفهام،...)، وقد شرح السكاكى هذه المعانى المترشحة عن الإنشاء بحسب المقام كما يأتي^(٢٦):

١- تخرج معانى الطلب الأصلية الخمسة، حين يمتنع، مقامياً إجراؤها على الأصل إلى معانٍ أخرى كالإنكار والتوبيخ...

٢- يحصل فى حال عدم المطابقة المقامية أن يتم الانتقال من معنى إلى معنى داخل معانى الطلب الأصلية نفسها.

٣- أما عملية الانتقال ذاتها فتتم بحسب السكاكي كآلاتي:

٤- في حال إجراء معاني الطلب الخمسة على أصلها، يتعذر الانتقال وتحمل الجملة المعنى الذي تدل عليه صيغتها من دون زيادة.

٥- في حالة إجراء المعاني الخمسة غير مطابقة لشروط إجرائها على الأصل يحصل الانتقال ويتم في مرحلتين اثنتين متلازمتين:

الأولى: يؤدي عدم المطابقة إلى خرق أحد شروط إجراء المعنى الأصلي، فيمتنع إجراؤه.

الثانية: يتولد عن خرق شرط المعنى الأصلي ومن ثم امتناع معنى آخر يناسب المقام.

ويرى الدكتور أحمد المتوكل أن الآليات التي ذكرها السكاكي ((تمتاز بالدقة؛ لأن الشروط المؤدي خرقها إلى الانتقال من معنى إلى آخر شروط لا تهم فصيلة معينة من الجمل، وهي الجمل الطلبية، بل تهم كل معنى يعنيه من معاني الطلب الخمسة، وهي على درجة من الدقة لا نجد لها فيما نظن في اقتراحات (جرايس) التي ركز فيها، بالرغم مما تطمح إليه من عموم على قواعد التخاطب المتعلقة بالجمل الخبرية، والتي لا تصلح بالتالي إلا لوصف الاستلزام الناتج عن خرق قاعدة من قواعد الخطاب الإخباري))^(٢٧).

واختيار المتكلم الطريقة التلميحية في خطابه لها لوظائف ذكر بعضها د. فرانك Dr.Frank في قوله: ((يمكن أن تتوافر الأفعال غير المباشرة على سبيل المثال على الوظائف التالية: تحاشي المحضورات، التحايل على حواجز غير مرغوب فيها وتفادي مطلب غير مبرر، أو تحفّ ما، وخلق إمكانات واسعة للذات، وللطرف الثاني، تمكّن من الاهتداء إلى مخرج، وهذه المعطيات هي في الغالب أشكال لبروز مبدأ الكياسة بمعناه الواسع أي لبروز تكتيكات Tactiques تحمي التفاعل الاجتماعي))^(٢٨)، ولهذا تمثل الأغلبية في المحادثات اليومية^(٢٩) فتلجأ في محادثتنا إلى أن ((توازن تعارض الرغبات في الانخراط مع الآخرين والاحتفاظ بالاستقلالية في الوقت نفسه، وذلك من خلال استعمال التلميح، وإدراك إشارات الآخرين التلميحية، وبالإحجام عن قول بعض الأشياء وتخمين ما يعنيه الآخرون فيما أحجموا عن قوله ويعرض اللغويون هذه الطريقة التي يعني فيها المرسل شيئاً

عندما يقوله بالطريقة غير المباشرة)) (٣٠).

المبحث

التلويح الحوارية في كتاب التوحيد

سيتناول الكشف عن التلويح الحوارية في كتاب التوحيد على وفق نظرية التلويح الحوارية لغرايس والأفعال اللغوية غير المباشرة لسيرل.

أولاً: التلويح الحوارية.

أ. التلويح العام: وهو ما يتولد من دون ملاحظة سياق معين ومنه:

١- التلويح المدرج:

وهو عبارة عن مجموعة من الألفاظ أو التعبيرات المتبادلة أو المتعاكسة ومن الجنس النحوي نفسه، ويمكن ترتيبها على شكل خطّ أو مستقيم بموجب ((القوة الدلالية أو درجة الفائدة والبيان)) (٣١)، من الأكثر إلى الأقل، فيستلزم السابق اللاحق ويقضي الأقل سلب الأكثر (٣٢).

إن المتكلم حين يصرح بعبارة تحتوي مثلاً على (كل، جميع، معظم، كثير، بعض، قليل، دائماً، غالباً، أحياناً) فإنه بذلك يلوح بنفي أية جملة تحتوي كلمة معاكسة (٣٣)، وهذه الدلالة المتولدة عنها لا تنفصل مهما اختلفت السياقات والتراكيب، لأنها من الاستلزام العام الذي لا يلحظ فيه سياق معين، ومن تلك الألفاظ التي وردت في كتاب التوحيد:

أ. كل: اسم يفيد الاستغراق والإحاطة بالأفراد، وإذا أضيف إلى النكرة أفاد شمول كل فرد من أفراد الجنس، أما إذا أضيف إلى المعرفة فإنها تفيد الاستغراق لكل الأفراد سواء كانت المعرفة عامة أم كانت معهودة استغرقت كل الأفراد المعهودين، فهي تفيد العموم لمدخولها (٣٤)، جاء في قول الإمام الباقر عليه السلام: ((عن محمد بن مسلم، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿وَسَخَّطْنَا فِيهِ مِنْ مَرُوحِي﴾ (٣٥)، كيف هذا النفخ؟ فقال: إن الروح متحرك كالريح،... إنما أضافه إلى نفسه لأنه اصطفاها على سائر الأرواح كما اصطفى بيتاً من البيوت فقال بيتي، وقال لرسول من الرسول: خليلي، وأشبه ذلك، وكل ذلك مخلوق مصنوع محدث مربوط

مُدَبَّرٌ))^(٣٦). فقولُه: (وكل ذلك مخلوق مصنوع محدث مربوب مُدَبَّر) يستلزم ليس بعضاً منها غير مخلوق كما تعتقد النصارى بأنَّ روح القدس قديمة غير مخلوقة وكذلك عيسى ﷺ روح الله، والروح قد أُضيفت إلى الله فهي مخلوقة وهذه هي النتيجة التي تدل عليها فهي ((لا تسمي مدلولاتها تسمية مباشرة، وإنما هي بمثابة الإشارة إليها))^(٣٧)، فهي تنبئ بالفقرة الأضعف^(٣٨) (ليس بعض)، ومنه وقول الصادق ﷺ: ((كذلك الله ربنا في السماء إله وفي الأرض إله وفي كل مكان إله))^(٣٩)، فقولُه ﷺ: ((وفي كل مكان إله)) تستلزم تكذيب الفقرة الأضعف (بعض الأمكنة تخلو من إله) فيلزم كذلك تكذيب من يذهب بالقول بأنَّ الله سبحانه وتعالى في السماء السابعة أو أنه ينزل إلى السماء الدنيا ليلة الجمعة وغيرها من الأقوال التي تحدد وجود الله سبحانه وتعالى^(٤٠).

ب - جميع: مثل (كل) تدل على الإحاطة والشمول وتفتقر عن (كل) بأنها تدل على عموم الأفراد على سبيل الاجتماع لا على سبيل الفردية النصية كما في (كل)، ومن تلك الخطابات التي ورد فيها ((عن عبد الله بن مسكان، قال: سألت أبا عبد الله ﷺ عن الله تبارك وتعالى أكان يعلم المكان قبل أن يخلق المكان أم علمه عندما خلقه وبعد خلقه؟ فقال: تعالى الله، بل لم يزل عالماً بالمكان قبل تكوينه كعلمه به بعد ما كونه، كذلك علمه بجميع الأشياء كعلمه بالمكان))^(٤١).

قوله: (جميع الأشياء كعلمه بالمكان) تستلزم تكذيب الفقرة الأضعف (ليس بعض الأشياء علمه فيها كعلمه بالمكان) كمن قال: إنَّ علم الله سبحانه وتعالى بالجزئيات مغاير لعلمه بالكليات، وذلك لأنَّ علمه إذا كان بجميع الأشياء كعلمه بالمكان والمكان حقيقة جزئية، فيجب أن يكون علمه بالأشياء الكلية والجزئية كعلمه بالأمر الجزئي^(٤٢)، وكذلك جاء في خطاب أمير المؤمنين ﷺ ((مبائن لجميع ما أحدث في الصفات، وممتنع عن الإدراك بما ابتدع من تصريف الذوات وخارج بالكبرياء والعظمة من جميع تصرف الحالات))^(٤٣).

تدل على أنَّ جميع صفات الله سبحانه وتعالى مبينة لصفات المخلوقات، وتستلزم تكذيب (ليس بعضاً منها غير مبين لصفات الخلق) كما جاء في الأخبار الكاذبة التي تصور الله سبحانه وتعالى على هيئة الشاب الموفق في سن أبناء ثلاثية سنة رجلاه في خضرة، أو

(٢٣٢)..... التلويح الحوارية في الخطاب الديني (كتاب التوحيد للشيخ الصدوق أنموذجاً)

التي تقول بأن الله سبحانه وتعالى يضع رجله في جهنم، فهذه صفات المخلوقين وهي كذابة معاكسة لدلالة جميع.

وقوله: (وخارج بالكبرياء والعظمة من جميع تصرف الحالات) أي: جميع الحالات التصرف ممتنع على الذات المقدسة بكبريائه وعظمته، فيلزم تكذيب ليس بعض الحالات غير ممتنعة كحال الوجود والعدم، والأول والآخر، والظاهر والباطن، فهو الموجود وهو الأول والآخر وهو الظاهر والباطن.

ج - كثير: مما ورد في خطابهم ﷺ: ((عن حنان بن سدير، قال: سألت أبا عبد الله ﷺ عن العرش والكرسي، فقال: إن للعرش صفات كثيرة مختلفة، له في كل سبب وضع في القرآن صفة على حدة))^(٤٤)، كثرة الصفات تستلم صدق بعض ما ذكر منها في القرآن؛ أي تنطبق على بعض الصفات المذكورة في القرآن بصورة مختلفة لاختلاف الأسباب، وليست بعض الصفات المذكورة خارجة عن صاحب الصفات الكثيرة، وكذلك جاءت في تفسير الإمام الصادق ﷺ لقوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾^(٤٥)، قال: ((جعلها ملائمة لطبائعكم... ولكنه عز وجل جعل فيها من المتانة ما تنتفعون به وتتماسكون وتتماسك عليها أبدانكم وبنيانكم وجعل فيها ما تنقاد به لدوركم وقبوركم وكثير من منافعكم))^(٤٦).

تستلزم قلة من الأمور لا ينتفع بها الإنسان مما جعله الله سبحانه وتعالى في الأرض.

د - (القلة والضعف): منه ما جاء في مناظرة الإمام الرضا ﷺ مع عمران النصراني قال الرضا ﷺ: ((يا نصراني والله إنا لنؤمن بعيسى الذي آمن بمحمد ﷺ وما ننقم على عيساكم شيئاً إلا ضعفه وقلة صيامه وصلاته))^(٤٧).

يستلزم قوله تكذيب النصراني بقولهم أنه قوي في جنب الله وكثير الصلاة والصيام، وهذا ما فهمه النصراني، فبادر على رد هذا المفهوم المستلزم بقوله: ((...وما فطر عيسى يوماً وما نام بليل قط، وما زال الدهر، قائم الليل، قال الرضا ﷺ فلمن يصوم ويصلي؟، فخرس الجائلق وانقطع))^(٤٨).

٢- النكرة:

الاسم النكرة هو: ((الواقع على كل شيء من أمته، لا يخص واحداً من الجنس دون سائره، وكل ما كان داخلاً بالبنية في اسم صاحبه فغير مميز منه إذا كان الاسم قد جمعهما))^(٤٩)، فلا يتعين مدلولها في سياق الخطاب، بخلاف المعرفة التي تدل على شيء معين.

أو هي الألفاظ التي تستلزم مدلولاً عاماً لإبهامها وعدم تشخيصها للفرد الذي يعنيه المتكلم الذي لا يمت بصلة قريبة إليه^(٥٠)، ومن ذلك ما جاء في قول الصادق عليه السلام: ((إنه قال للزناديق حين سأله من هو؟ قال: هو شيء بخلاف الأشياء، أرجع بقولي (شيء) إلى معنى وأنه شيء بحقيقة الشيئية غير أنه لا بجسم ولا صورة))^(٥١).

جاء تنكير لفظ (شيء) للتعظيم وأنها حقيقية غيبية لا يمكن تحديدها أو تشخيصها فيستلزم عدم إدراكها وبالوقت نفسه لا يمكن نفي الشيئية عنها؛ لأنه يستلزم عدم وجودها، وهذا يناقض وجود آثارها في الكون التي تدل على وجودها.

ومما ورد فيه التنكير قول الإمام علي عليه السلام: ((ولم يخلُ منه مكان فيدرك بأينية، ولا له شبه مثال فيوصف بكيفية...))^(٥٢).

تنكير لفظه ((مكان)) يلزم منها عدم تحديد جهة معينة فيشار إليه فيقال بهذا المكان، فكل ما صدق عليه مكان كان الله فيه.

ثانياً: الاستلزام الخاص:

هو ما يحصل في سياق خاص ومحدد؛ لأنه يتعلق بالمناسبة، وهذا الاستلزام يمكن التوصل إليه على وفق (مبدأ التعاون) وما يتفرع عليه من قواعد بطريقتين^(٥٣):

الطريقة الأولى: أن يلتزم المتكلم بالقواعد بشكل صريح إلى حد ما، تاركاً للمخاطب مهمة أن يتوسع في تفسير الكلام المنطوق عن طريق الاستنتاج المباشر المبني على افتراض أن المتكلم يطيع القواعد في الأحوال الاعتيادية، وتسمى هذه الطريقة^(٥٤) بـ(الاستلزام الانمذجي Standard Implicature-).

الطريقة الثانية: عدم الالتزام بقواعد المحادثة أو بإحداها عن قصد وعلانية، أو كما يعبر عن ذلك (جرايس) عندما يستخف (Float) المتكلم بهذه القواعد وهو يريد من

(٢٣٤)..... التلويح الحواري في الخطاب الديني (كتاب التوحيد للشيخ الصدوق أنموذجاً)

المخاطب أن يدرك أن هذا الاستخفاف متعمد لكي يولد التلويح المقصود، ((ويعد كلا نوعي الاستلزام مهماً للغاية))^(٥٥).

أ- الطريقة الأولى: ((الاستلزام النموذجي)) وتتضمن القواعد الآتية:

١- قاعدة (الكم):

تقتضي سياقات خاصة أن يلتزم المتكلم بإفادة المخاطب بكمية المعلومات المطلوبة ومناسبة له لأجل أن يتوصل إلى المعنى المقصود مباشرة، إذ قد تكون الزيادة في المعلومات تشتت لتفكير المخاطب فتكون حاجزاً للوصول لجوهر المعنى المطلوب إبلاغه، ومن ذلك ((إن أعرابياً قام يوم الجمل إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: يا أمير المؤمنين أتقول: إن الله واحد؟ قال (الراوي) فحمل الناس عليه، قالوا: يا أعرابي أما ترى ما فيه من تقسيم القلب، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: دعوه، فإن الذي يريده الأعرابي هو الذي نريده من القوم، ثم قال: يا أعرابي: إن القول في أن الله واحد على أربعة أقسام: فوجهان منها لا يجوز أن على الله عز وجل، ووجهان يثبتان فيه، فأما اللذان لا يجوز أن عليه، فقول القائل: هو واحد يقصد به باب الأعداد، أما ترى أنه كفر من قال: ثالث ثلاثة، وقول القائل: هو واحد من الناس، يريد به النوع من الجنس^(٥٦)، فهذا مالا يجوز عليه لأنه تشبيه، وجل ربنا عن ذلك وتعالى، وأما الوجهان اللذان يثبتان فيه فقول القائل: هو واحد ليس له في الأشياء شبه، كذلك ربنا، وقول القائل: إنه عز وجل أحدي المعنى، يعني به أنه لا ينقسم في وجود ولا عقل ولا وهم كذلك ربنا عز وجل))^(٥٧).

يظهر من الجواب أن كمية المعلومات كانت وافية تناسب السؤال وترك الإمام تفصيل بعض الأمور لأنها لا تتعلق بالسؤال، كالأدلة على كفر من قال بالقولين الباطلين أو كان يفترض أن السائل يؤمن بكفرهم فلا حاجة لذكرها، بالرغم من أن السؤال كان في وقت غير مناسب أجاب بقدر كاف؛ لأنه يتعلق بإفهام أمر مهم يعد أساس الدين.

ومن ذلك ما جاء في جواب الصادق عليه السلام: ((يا بن رسول الله أخبرني عن الله عز وجل هل له رضا وسخط؟ فقال: نعم، وليس ذلك على ما يوجد من المخلوقين، ولكن غضب الله عقابه، ورضاه ثوابه))^(٥٨).

فلم يكتفِ بالإمام بقوله (نعم)؛ لأن ذلك يحدث الالتباس والغموض في فهم معنى

الرضا والغضب؛ لذلك شرح المراد من الرضا والعقاب الثواب والعقاب، لا كما في المخلوقين الذي يستلزم أن يكون الله سبحانه وتعالى على صفة المخلوقين بأنه ينتقل من حالة إلى حالة أو يستفزه شيء فيكون محلاً للحوادث فيقتضي أن يكون معلولاً لعلّة للكون وتعالى الله جلّ جلاله عن ذلك.

٢- قاعدة الكيف:

يقتضي الخطاب الإقناعي الصدق من المتكلم واعتقاده بما يريد إبلاغه وامتلاكه الدليل الكافي لإقناع الطرف الآخر، ويراد من الصدق هنا أن يجري الكلام على وفق الحقيقة بأن لا يستعمل المجاز في خطابه؛ لأنّ المجاز فيه أدعاء وهذه هو الأكثر في كتاب التوحيد؛ لأنه ضمّ مجموعة من الروايات والخطب والمناظرات الاستدلالية على مباحث التوحيد بصوره مباشرة، منها أن أبا شاعر الديصاني، قد سأل الصادق عليه السلام فقال الديصاني: ((ما الدليل على أن لك صناعات؟ فقال: وجدت نفسي لا تخلو من إحدى جهتين: إما كون صنعتها أنا أو صنعتها غيري، فإن كنت صنعتها أنا فلا أخلو من معنيين: إما أن أكون صنعتها وكانت موجودة، أو صنعتها وكانت معدومة، فإن كنت صنعتها وكانت موجودة فقد استغنت بوجودها عن صنعتها، وإن كانت معدومة فإنك تعلم أن المعدوم لا يحدث شيئاً، فقد ثبت المعنى الثالث أن لي صناعاتاً وهو رب العالمين ففما وما جاء جواباً))^(٥٩).

قد أبلغ السائل بما يعتقد به من الإيمان بالله سبحانه وتعالى وأنه خالق كل شيء بطريقة مباشرة، ولم تخرج دلالة الألفاظ عن معانيها، وأقام الدليل اللازم على اعتقاده، ما أدى تحيّر هذا المنكر فلم يجد ثغرة في طريقة الاستدلال، واعتمد الإمام على مسلمّات (افتراضات سابقة) عند السائل، كاستحالة تسلسل العلل عقلاً، وإن المعدوم مفترق لعلّة الإيجاد.

ومن ذلك ما ورد عن الرضا عليه السلام أنه كان يقول: ((أول الدين معرفته وكمال المعرفة توحيدة، وكمال توحيدة نفي الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة الموصوف أنه غير الصفة، وشهادتهما جميعاً على أنفسهما بالبينة الممتنع منها الأزل فمن وصف الله فقد حدّه ومن حدّه فقد عدّه ومن عدّه فقد أبطل أزلّه...))^(٦٠).

قد بين الإمام عقيدته في الصفات وفساد القول بأن صفاته خارجة عن ذاته كما ذهب إليه بعض الفرق الإسلامية، ويريد الإمام إبلاغ المتلقي بطلان الأقوال الأخرى في مسألة

(٣٣٦)..... التلويح الحوارية في الخطاب الديني (كتاب التوحيد للشيخ الصدوق أنموذجاً)

صفات الله بصورة استدلالية مباشرة بما يوافق الفطرة والعقل.

٣- قاعدة الملائمة:

هذه القاعدة تتعلق بما اصطلح عليه عند البلاغيين ((تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره))^(٦١)، وقد وجدت في الخطابات التي ذكرت تحت قاعدة الكم والكيف، مناسبة لسياقاتها، فلم تكن هناك جفوة بينها وبين سياقاتها وإلا لكان سبباً لاعتراض السائل أو المنكر ونورد خطاباً آخر ينص على المقام.

فقد ورد عن سليمان بن جعفر الجعفري، أنه قال: ((ذَكَرَ عنده - الرضا عليه السلام - الجبر والتفويض، فقال الرضا عليه السلام: ألا أعطيكُم في هذا أصلاً لا تختلفون فيه ولا تخاصمون عليه أحداً إلا كسرتموه، قلنا: إن رأيت ذلك، فقال: إن الله عز وجل لم يُطع بإكراه، ولم يعص بغلبة ولم يهمل العباد في ملكه، هو المالك لما ملكهم، والقادر على ما أقدرهم عليه، فإن ائتمر العباد بطاعته لم يكن الله عنها صاداً ولا منها مانعاً، وإن ائتمروا بمعصية فشاء أن يحول بينهم وبين ذلك فعل، وإن لم يحلُ وفعلوه فليس هو الذي أدخلهم فيه، ثم قال عليه السلام: من يضبط حدود هذا الكلام فقد خصم من خالفه))^(٦٢).

فالإمام أخذ من مقام ذكرهم لمسألة الجبر والتفويض واختلاف الناس والمذاهب فيها مناسبة لإبلاغهم المعنى الصحيح في المسألة المذكورة.

فكانت هذه المحادثة مجهوداً تعاونياً استطاع الإمام إقامة قناة اتصال مشتركة بالدخول معهم بحوارهم بعد أن عرض عليهم خدماته المعرفية الملائمة لحوارهم، وهذا يحقق إيصال مقصوده وبثأثير أكبر، وقد صرح بعضهم أن لهذه القاعدة ((القدرة على تأدية الخدمات عينها التي تقدمها القواعد الغرايسية مجتمعة))^(٦٣) لما لها من أثر في تأويل الخطاب.

٤- قاعدة الطريقة:

تتفرع منها أربع قواعد تلزم المخاطب أن يكون محترماً من الالتباس والأجمال وأن يتوخى الإيجاز والترتيب، وهذه القواعد لوحظت في كل الخطابات التي ذكرت سابقاً، ويمكن ملاحظتها في قول الرسول ﷺ: ((ما قلتُ ولا قال القائلون قبلي مثل لا إله إلا الله))^(٦٤)؛ أي ما قلتُ ولا قالوا كلمة تامة الإفادة للتوحيد وجملة مستوفاة للدلالة على التفرد في الألوهية

مثل (لا إله إلا الله)؛ لأنها صريحة في الحصر لاشتمالها على أدواته^(٦٥) (لا النافية المنقوض فيها بـ"إلا") حملت معاني كبيرة استطاعة أن توصل الفكرة المقصودة بأقل الكلمات.

ومن ذلك أجوبة أمير المؤمنين في الحوار الآتي: ((إن رجلاً قام إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين بماذا عرفت ربك؟ قال بفسخ العزم ونقص الهمم، لما هممت فحيل بيني وبين همي، وعزمت فخالف القضاء عزمي علمت أن المدبر غيري، قال: فبماذا شكرت نعماءه؟ قال: نظرت إلى بلاء قد صرفه عني وأبلى به غيري فعلمت أنه قد أنعم علي فشكرته، قال: فلماذا أحببت لقاءه، قال: لما رأيته قد أختار لي دين ملائكته ورسله وأنبيائه علمت أن الذي أكرمني بهذا ليس ينساني فأحببت لقاءه))^(٦٦).

لقد جاءت العبارات مرتبة متسلسلة يتقدمها السبب ثم النتيجة، وجاءت الفاء الرابطة للترتيب، فلم يجمل في بعضها فيحتاج إلى ما يوضحه لو أعترض عليه السائل، ولم يحصل التباس عند السامع، إذ لو كان لا اعتراض على ما لم يفهمه، فهناك تناسب ما بين فقرات الخطاب وكان كلامه مناسباً لكل سؤال يطرحه السائل على وفق قاعدة الملائمة التي توجب على أن يكون الكلام ذا علاقة مناسبة بالموضوع، وعلى افتراض أن المتكلم راعى مبدأ التعاون، مما حدا به إلى الإيجاز والتخلي عن أمور مفروغ منها.

ب - التلويح الحوارية (المخصص):

وهو الاستلزام الذي ينتج عندما يخرق المشاركون عدداً من قواعد التخاطب أو إحداها، ويتم هذا الخرق عن قصد ليولد معنى أعمق يريد المتكلم أن يلتفت إليه المخاطب ((بمعنى أن يكون المتكلم حريصاً على إبلاغ المخاطب معنى بعينه وأن يبذل المخاطب الجهد الواجب للوصول إلى المعنى الذي يريده المتكلم))^(٦٧)، قد يكون خرق هذه القواعد ((لأجل المحافظة على المبادئ الأخرى، على سبيل المثال قد يخرق المتكلم مبدأ (الكم) - بأن لا يقدم لسائله كل المعلومات المطلوبة في السؤال، وذلك بهدف أن يظل محافظاً على مبدأ (الكيف) الذي يلزمه بأن يكون صادقاً في كلامه، الشيء الذي يجعل المخاطب يستنتج مدلولاً استلزامياً حوارياً هو جهل المخاطب المسؤول بتفصيل الإجابة التي يطلبها (السؤال))^(٦٨)، ولا يمكن أن نحصر الغاية من خرق القواعد بأنها لـ ((توليد الصور البلاغية))^(٦٩)، فإن هذا الحصر مبالغ فيه فليس كل الخروقات تولد صوراً بيانية ولم يكن

مقصداً عام، فهناك من يخرق القواعد لأجل التأدب أو التهرب من المسؤولية، فيسلك في إجابته سبيل الإيجاز في مقام يقتضي الإطناب أو التكتيف البلاغي، أو إلى الرمزية أو الإيحائية، وإن نظرية (غرايس): (نظرية اتصال... تقدم تفسيراً لمسألة كيف يمكن أن يوفق الاتصال مع غياب كل المعاني العرفية في التعبير عن الرسالة المقصودة)^(٧٠).

وفيما يأتي نقف على نماذج من خرق لأحدى القواعد في كتاب التوحيد على وفق ما هي مرتبة عليه في قواعد التخاطب:

١- قاعدة الكم.

أ. الخرق بإعطاء قدر أكبر من المعلومات.

كما في إجابة الإمام الصادق عليه السلام لإثبات أن الله سبحانه وتعالى بعث أنبياء الناس ((قال السائل: فمن أين أثبتت أنبياءاً ورسلاً؟ قال أبو عبد الله عليه السلام: لما أثبتنا أن لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنا وعن جميع ما خلق، وكان ذلك الصانع حكيماً لم يجز أن يشاهده خلقه ولا يلامسهم ولا يدا مسوه ولا يباشرهم ولا يباشره ولا يحاجهم ولا يحاجوه فثبت أن له سفراء في خلقه وعباده يدلونهم على مصالحهم ومنافعهم ومآبه بقاؤهم وفي تركه فناؤهم، فثبت الأمرون والناهون عن الحكيم العليم في خلقه وثبت عند ذلك معبرين وهم الأنبياء))^(٧١) إلى هنا أثبت الإمام حاجة الناس إلى الأنبياء؛ لأنه حكيم والحكيم لا يترك الناس من دون مرشد ومعلم يدلهم على الطريق الصالح بعد أن أمتنع أن يباشرهم بنفسه، ولكنه لم يكتف بهذا بل تعرض إلى صفاتهم بقوله: ((وصفوته من خلقه حكماء مؤدبين بالحكمة مبعوثين بها غير مشاركين للناس في أحوالهم على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب))^(٧٢). وهذه الإضافة تلمح إلى دليل آخر، وهو كل هؤلاء الذين جاءوا بالنبوة كانوا معروفين بالحكمة والأدب وخيرة أقوامهم وهم عاشوا في أماكن متباعدة وأزمان متعددة، ومع ذلك كله اجتمعت كلمتهم على أنهم مبعوثون من رب السموات والأرض، فهذا دليل صدقهم، إذ لو كانوا كاذبين لاختلفت دعوتهم وكذلك لم يكتف الإمام بهذا القدر من المعلومات فذكر أمراً آخر بقوله: ((مؤيدين من عند الله الحكيم بالحكمة والدلائل والبراهين والشواهد من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، فلا تخلو أرض الله من حجة يكون معه علم يدل على صدق مقال الرسول ووجوب عدالته))^(٧٣)، وهذا دليل ثالث لإثبات المدعى وهو أن هؤلاء

كانوا مؤيدين من قبل الله سبحانه بالمعجزات والبراهين التي تدل صدق دعواهم. وهذا الخرق له ما يسوغه للإمام يريد إتمام الحجة على هذا السائل الذي كان من الزنادقة المنشرين في ذلك العصر^(٧٤)،

وكذلك نجد زيادة في المعلومات في جواب الإمام الصادق عليه السلام يقول: ((وسألتَ رَحْمَكَ اللهُ عن الإيمان، فالإيمان هو إقرار باللسان وعقد بالقلب وعمل بالأركان، فالإيمان بعضه من بعض))، إلى هنا بين الإمام عليه السلام تعريف الإيمان بأنه مجموع ثلاثة أمور ذكرها، ولكن لم يكتفي فأضاف معلومات أخرى بقوله عليه السلام: ((وقد يكون العبد مُسْلِماً قبل أن يكون مؤمناً، ولا يكون مؤمناً حتى يكون مسلماً، فالإسلام قبل الإيمان وهو يشارك الإيمان))، فذكر عليه السلام بأن الإسلام أعم من الإيمان، إذ قد يتحقق الأعم من دون الأخص، ولا يمكن العكس، ولم يكتف بذلك فأضاف الضابطة التي يخرج به العبد من الإيمان بقوله: ((فإذا أتى العبد بكبيرة من كبائر المعاصي أو صغيرة من صفائر المعاصي التي نهى عز وجل عنها كان خارجاً من الإيمان وساقطاً عنه اسم الإيمان وثابتاً عليه أسم الإسلام، فإن تاب واستغفر عاد إلى الإيمان ولم يخرج به إلى الكفر والمجود والاستحلال))^(٧٥)، وأضاف عليه السلام ضابطة الخروج إلى الكفر بقوله: ((وإذا قال للحلال: هذا حرام وللحرام: هذا حلال ودان بذلك فعندها يكون خارجاً من الإيمان والإسلام إلى الكفر، وكان بمنزلة رجل دخل الحرم، ثم دخل الكعبة فأحدث في الكعبة حدثاً فأخرج عن الكعبة وعن الحرم فضربت عنقه وصار إلى النار))^(٧٦).

وأضاف معلومة أخرى في ختام حديثه وهي حكم الكافر الفطري الذي عُقد نطقته من أبوين مسلمين أو أحدهما، ثم كفر بأن يقتل من خلال تنزيله منزلة من دخل الكعبة فأحدث فيها.

وهذه معلومات لم يسأل عنها السائل، وكانت هناك صلة بينها وبين المسؤول عنه ((وعن الإيمان ما هو))^(٧٧)، فزيادة كمية المعلومات في سياق الخبر ((يكشف عن مقاصد ضمنية يكشفها المشاركون في الخطاب عن طريق التواصل الخفي والمعلومات المشتركة والراسخة في ذهن كلا طرفي الخطاب))^(٧٨).

وفي هذه الأجوبة تعريض إلى بطلان الأقوال الأخرى في تعريف الإيمان، وحكم مرتكب الكبيرة عند المذاهب الدينية الأخرى.

(٢٤٠)..... التلويح الحواري في الخطاب الديني (كتاب التوحيد للشيخ الصدوق أنموذجاً)

ومنه قول أبو عبد الله الصادق عليه السلام: ((الحمد لله الذي لا يحس ولا يجس ولا يمس، ولا يدرك بالحواس الخمس، ولا يقع عليه وهم، ولا تصفه الألسن...))^(٧٩)، يقال حسَّ يحسُّ حساً شعربه، والحس العلم بالشيء^(٨٠)، فالله سبحانه لا تدرك ماهيته بالحواس الظاهرة أو الباطنة، (ولا يجس) جس الشيء نظر إليه^(٨١)، فالله لا يدرك بالبصر، (ولا يمس) ويقال مست الشيء أمسه مساً لستته بيدك أو بالحجر، والله سبحانه وتعالى لا يمس بيد (ولا تدركه الحواس الخمس) فتكون من باب عطف العام على الخاص؛ لأنها جاءت بعد البصر واللمس باليد لإجراء الحكم في الأفراد الأخرى، فقد نفى عليه السلام عنه تعالى أدرك العقل للذات المقدسة، وإدراك الحواس الظاهرة بالجمل الثلاث، وإدراك المشاعر الباطنة له^(٨٢).

فكانت هذه العبارات معانيها متضمنة في الفقرة الأولى (لا تحس)، فتستلزم زيادة المعلومات توضيح الفكرة وترسيخها لدى المخاطب وينتقل منها المخاطب إلى ملازمات أخرى كبطلان الأقوال الأخرى في التجسيم والتشبيه وتكذيب ما يدعى من الأخبار الواردة في التجسيم من قبل الرسول الأكرم وأهل بيته عليهم السلام.

ب - الخرق بإعطاء قدر أقل من المعلومات (الإيجاز):

يعد خرق قاعدة (الكم) بجمع المعاني والمعلومات المطلوبة تحت عبارات مكثفة في مقام يتطلب التفصيل بالمعلومات بقصد من المتكلم.

ومن ذلك ما جاء في جواب الإمام الرضا عليه السلام: ((عن سعد بن سعد، قال سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن التوحيد، فقال: هو الذي أنتم عليه))^(٨٣).

فالإمام لم يذكر المعلومات التي يريد السائل عن التوحيد بشكل مباشر لكنه أشار إلى تلك المعلومات فقوله: (ما أنتم عليه) أي: التوحيد هو الإقرار بالالوهية له سبحانه وتعالى والإقرار بالنبوة لرسوله الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، والولاية^(٨٤) لأهل البيت عليهم السلام فهذه الأمور مجتمعة تحقق التوحيد، كما نصت على هذا أحاديث صريحة^(٨٥)، ولعل الإمام لم يصرح هنا للتحفة فأشار إلي ما يريد.

وكذلك نجد هذا الخرق في نص آخر: ((عن فضيل بن سكرة، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: جعلت فداك إن رأيت أن تعلمني هل كان الله جل ذكره يعلم قبل أن يخلق الخلق أنه وحده؟،

فقد اختلف مواليك، فقال: قد كان يعلم تبارك وتعالى أنه وحده قبل أن يخلق شيئاً من خلقه، وقال بعضهم: إنما معنى يعلم يفعل، فهو اليوم يعلم أنه لا غيره قبل فعل الأشياء، وقالوا: إن أثبتنا أنه لم يزل عالماً بأنه لا غيره فقد أثبتنا معه غيره في أزليته، فإن رأيت يا سيدي أن تعلمني ما لا أعده إلى غيره، فكتب عليه السلام: ما زال الله تعالى عالماً تبارك وتعالى ذكره^(٨٦).

لم يلتفت الإمام في جوابه إلى هذه التفاصيل التي ذكرها السائل حول كيفية تعلق علمه سبحانه وتعالى بالأشياء فلم يعط المعلومات المطلوبة لدحض هذه الأقوال، وأجاب بعبارة موجزة لعل لضعف أدلتهم التي لا تستحق أن يطيل الكلام فيها^(٨٧)، فيكون انتهاكه لقاعدة الكم ليفت السائل لذلك، فيعتمد المتلقي على السياق والمعلومات السابقة التي توصله إلى ما يريده المتكلم، لهذا يكون الاستدلال معقداً في الاستلزام المخصص.

٢- قاعدة الكيف:

يخرق المتكلم قاعدة الكيف، فيعتمد على الصور البيانية المجازية في الغالب، مثل التهكم والاستعارة، والكنية والتشبيه، والتلويح، والمبالغة فيوظف المجاز للتأثير في المخاطب، إذ إنه يخاطب عقل المخاطب ومخيلته في الوقت نفسه، وهنا تكمن أهميته، الخيال نشاط لغوي يتعد عن الحقيقة وهو يرسم عالماً لا جود له، بمعنى أنه عالم غير صادق، وهذا سر جماله واعتماد الأدب عليه؛ و((البلاغيين عندما يضعون المجاز في مقابل الحقيقة، فهم لا يقصدون أن المجاز يعني الكذب أو الباطل بل يقصدون أن الدلالات المجازية تداولية؛ لأنها دلالات إيحائية، يكون المتلقي هو المكلف بفهمها))^(٨٨).

إن المجاز طريقة في القول وكيفية في أخذ الكلام، والقيمة التداولية للمجاز ليست أقل من قيمة الكلام الحقيقي^(٨٩)، وقد وصفه ابن رشيق بقوله: ((في كثير من الكلام أبلغ من الحقيقة، وأحسن موقفاً في القلوب والأسماع))^(٩٠)، وإن كانت النظرية التداولية وجدت صعوبة في التوفيق بين الخيال الأدبي والكذب في الاستعمال اليومي؛ لأن التداولية قامت على الصدق والرغبة الجادة من المتكلم، والكلام التخيلي لا يمكن أن يكون صادراً عن جد، وهو مثل الكذب فعل تشويش لا يهتم كثيراً العالم التداولي^(٩١).

ويرى أوستين، في مقالة خاصة ((التخيل والكذب، أنشطة لغوية تتبنى شكل الإثبات والتوكيد على وجه عام، لكن من دون أن تكون مع ذلك تأكيدات وإثباتات مطابقة،

(٣٤٢)..... التلويح الحوارية في الخطاب الديني (كتاب التوحيد للشيخ الصدوق أنموذجاً)

وشرط الصدق يتم اغتصابه في التخيل والكذب، ذلك أن قائل الكذب والتخيل لا يعتقد في حقيقة ما يؤكدُه))^(٩٢).

وبالرغم من الصعوبات التي واجهتها التداولية عند التعرض للكذب والتخيل كان عليها وعلى كل نظرية تعالج الاستعمال اللغوي أن تتمكن من وصف ما فعله باللغة اليومية، وللأسف فإن الكذب عمل يحدث يومياً^(٩٣).

ظهرت دراسات تعالج هذه الإشكالية بأن تقارب مسألة التخيل من منظور يحاول الجمع بين الشعرية والتداولية، فقد اقترح (جيرار جنيث-Gerard Genett) اعتبار التخيلات أفعالاً لغوية غير مباشرة خاصة باللغة الشعرية، وفي هذا الاتجاه نفسه لوحظ أن نظرية أفعال اللغة لا تدرس إلا أفعالاً جزئية تنتمي للغة العادية، فبدأ الاهتمام بالنصوص الأدبية بوصفها أفعالاً لغوية كبرى لها وظيفة إنجازية لا يصح الاشتغال بها كما نشتغل باللغة العادية اليومية^(٩٤).

ويقسم البحث في دراسة هذا الخرق على مستويات ثلاثة: (التشبيه، الاستعارة، الكناية).

أ. التشبيه:

التشبيه في علم البيان هو: ((صورة تقوم على تمثيل شيء (حسي أو مجرد) بشيء آخر (حسي أو مجرد) لاشتراكهما في صفة (حسي أو مجرد) أو أكثر))^(٩٥)، ويفترقان بأمور تخصهما ويحاول المتكلم أن يوحدتهما لصقل الشكل وتقريب المعنى الذهني بتجسيده حياً، فالنفس تميل إلى المحسوسات^(٩٦)، لـ((ضبط العلاقة بينهما يحلل الأصل إلى مكوناته أو مقوماته أو صفاته الذاتية والعرفية فيختار بعضاً منها لإسقاطه على الفرع، على أن ما سقط يجب أن يكون جامعاً متفقاً عليه بأنه وصف منضبط))^(٩٧).

فالمتكلم توصل إلى التشبيه عبر خطوات، وكذلك على المتلقي أن يقوم بخطوات استدلالية ليتوصل إلى المعنى المستلزم من التشبيه، وهنا تظهر مقدرة المتلقي التداولية.

ومن ذلك ما جاء في قول الإمام الصادق عليه السلام: ((هو الأول قبل كل شيء، وهو الآخر ما لم يزل، لا تختلف عليه الصفات والأسماء ما يختلف على غيره مثل الإنسان الذي يكون

تراباً مرةً، ومرةً دماً، ومرةً رفاتاً ورميماً، وكالتمر الذي يكون مرةً بلحاً، ومرةً بسراً، ومرةً رطباً، ومرةً تمرّاً، فيتبدل عليه الأسماء والصفات، والله عز وجل بخلاف ذلك))^(٩٨).

والأولية في حقه تعالى هي الحقيقة وهي بحسب الوجود مساوقة لمعنى القدم، والأخرى بمعنى البقاء بعد كل شيء بلا تغيير وتحوّل، وقد شبه الإمام عليه السلام ما يختلف عليه الصفات مع بقاء حقيقته بالإنسان الذي حقيقته واحدة تتغير صفاته من طور إلى طور آخر، وشبه ما يختلف عليه الأسماء بالتمر الذي في كل طور تتغير حقيقته فيتحوّل اسمه، والله سبحانه وتعالى ليس كالمثالين، فحقيقته واحدة وصفاته ثابتة. فالمخاطب لا بد أن يدرك وجه الفرق بين المثالين لينتقل إلى المعنى المقصود من التشبيه.

ومن ذلك ما جاء في قول الصادق عليه السلام: ((عن محمد بن مسلم، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قوله عز وجل: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾^(٩٩)، كيف هذا النفخ؟ فقال: إن الروح متحرك كالريح، وإنما سُمي روحاً لأنه اشتق اسمه الريح...))^(١٠٠).

المراد من الروح هنا هو الجوهر النوري القدسي ومشابقتها للريح ليس في حقيقتها الجوهرية بل في أمر عرضي وهو الحركة وقد شبه الإمام الروح بالريح، والروح هي النفس الناطقة التي هي محل العلوم والكمالات الإنسانية ومدبرة للبدن لها قابلية التنقل متحركة تناسب حقيقتها^(١٠١) ولكن مع ذلك تبقى حقيقة الروح غامضة ولكنها مخلوقة وليس كما قد يتصور السائل من كونها نسبت إلى الله سبحانه وتعالى فهي مجانسة لحقيقته تعالى الله عن خلقه.

ويلزم من هذا التشبيه بأن المشبه شيء غامض لا يمكن تعريفه بحقيقته لذلك عرفه بأحد خواصه العرضية (الحركة). ويفترض المتكلم أن المتلقي متعاون معه لفهم هذا القصد من الخرق.

ب - الاستعارة:

أخذت الاستعارة موقعاً متميزاً في البلاغة العربية فهي - كما يقول عبد القاهر الجرجاني - ((أمرٌ ميداناً وأشدُّ افتناناً وأكثر جرياناً... أن تجمع شُعبها وشُعبها، وتخصر فنونها وضروبها نعم وأسحر سحراً))^(١٠٢)، وعرفها بقوله: ((أن تريد تشبيه الشيء، فتدع أن تفصح بالتشبيه، وتظهره وتجيء إلى اسم المشبه به فتعييره المشبه وتجره عليه))^(١٠٣)، فهي

(٣٤٤)..... التلويح الحوارى فى الخطاب الدينى (كتاب التوحيد للشىخ الصدوق أنموذجاً)

تخرق المعنى الحقيقى بوصفها صورة تشبيهية حُذِفَ أحد طرفيها مع الأداة ووجه الشبه، وادعاء دخول المشبه فى حقيقة المشبه به وهو جوهرها، فالمتكلم يتجاوز بالاستعارة من المعنى الحقيقى الدلالى إلى المعنى الإيحائى الذى ((يتم عن الالتفات خلف كلمة تفقد معناها على المستوى اللغوى الأول لتكشفه على مستوى آخر، وتؤدي بهذا دلالة لا يتيسر أداؤها على المستوى الأول))^(١٠٤).

وقد وردت استعارات فى كتاب التوحيد لتصوير صعوبة الوصول إلى ماهية الذات المقدسة منه قول الإمام علي عليه السلام: ((قد ضلت العقول فى أمواج تيار إدراكه، وتخبّطت الأوهام عن إحاطة ذكر أزليته، وحُصِرَت الأفهام عن استشعار وصف قدرته وغرقت الأذهان فى لجج فى أفلاك ملكوته))^(١٠٥).

فقد صور العقول التى حاولت إدراك ماهية الذات المقدسة بالذى ضلّ طريقة فى أعالي البحار مع اشتداد الأمواج وارتفاعها بحيث لا يمكنه الخروج منها، واستعار التخبّط إلى الأوهام التى تريد الوصول إلى أزليته بأن صارت كالمجنون والمتحير، وشبه الملكوت بالبحار المضطربة، وأن العقول غرقت فيها.

فهذه الصورة الاستعارية التى رسمها الإمام علي عليه السلام يلزم من ورائها استحالة إدراك الذات أو أزليته أو ملكوته بالعقل البشرى؛ لأنه محكوم بقوانين الطبيعة الحسية.

وقوله عليه السلام: ((ولو وهب ما تنفست عنه معادن الجبال وضحكت عنه أصداف البحار من فلز اللجين وسبائك العقيان ونضائد المرجان لبعض عبيده لما أثر ذلك فى جوده ولا أنفد سعة ما عنده))^(١٠٦).

(التنفس) مستعار: إما من تنفس الصبح إذا تبلج؛ أى ما أظهرته وأخرجته المعادن التى فى الجبال، أو من تنفس الرجل لأنها حاصلة من نفس الجبال وهو البخار المحتبس فيها المستحيلة إلى هذه الأشياء. واستعار (الضحك) إلى الأصداف حيث يصحبها اللآلىء المشبهة بها أسنان الملاح. تمثل هذه الصورة كرم الله لا المحدود بحيث لو وهب كل ما فى الأرض وما فى الأرض لم ينقص شيئاً من خزائنه، وهذه المعنى لم يبذله بصورة مباشرة مستهلكة بل صورها بأسلوب خرق فيه المستوى الحقيقى بد (نقل العبارة من موضع استعمالها فى أصل اللغة إلى غيره؛ لغرض)^(١٠٧) التأثير فى المخاطب، وتحريك ذهنه، وأطلاق خياله، لجذب انتباهه، فهى تهدف

إلى إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي للمتلقي^(١٠٨).

ومن تلك الاستعارات ما جاءت لتصور علو نسب الرسول الأكرم وسموه، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ((وأشهد أن محمداً عبده ورسوله عبده المقر في خير مستقر، المتناسخ من أكارم الأصلاب ومطهرة الأرحام المخرج من أكرم المعادن محتداً، وأفضل المنابت منبتاً، من أمتع ذروة، وأعز أرومة، من الشجرة التي صاغ الله منها أنبياءه وانتجب أمناه الطيبة العود، المعتدلة العمود، الباسقة الفروع الناظرة الغصون اليانعة الثمار الكريمة الحشا، في كرم غرست، وفي الحرم انبتت، وفيه تشعبت...))^(١٠٩).

فقد استعار الشجرة الطيبة المباركة لبيان طهارة النبي صلى الله عليه وسلم وعظيم منزلته عند الله بحيث أكرمه باختيار هذا النسب المبارك، وهذه الاستعارة يلزم منها أمراً هو صدقه فيما يدعي من النبوة؛ لأن مثل هذا يستبعد عليه الكذب والخيانة فهو يحتاج بخضاله على صدق دعواه.

ج - الكناية:

يعرف السكاكي الكناية بأنها: ((ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزم يتقل من المذكور إلى المتروك))^(١١٠)، فهي تقوم على أساس التلازم الذي هو أحد أسباب تداعي المعاني في ذهن السامع^(١١١).

فالتكلم يختار هذه الطريقة في الخطاب، ليدفع المتلقي إلى التفكير والتأمل، وفصل السكاكي الكناية ((إلى تعريض، وتلويح، ورمز، وإيماء وإشارة))^(١١٢).

ومما ورد من الكناية في كتاب التوحيد، قال الإمام عليه السلام: ((وفات لعلوه على الأشياء مواقع وهم المتوهمين، وارتفع عن أن تحوي كنه عظمتها فهاهة رويات المتفكرين))^(١١٣).

(الموقع) وقبعة الطائر وموقعه بفتح القاف موضع وقوعه الذي يقع عليه ويعتاد الطائر إتيانه وجمعها مواقع^(١١٤) كناية عن عدم وصول التخيلات إلى ذاته المقدسة لأنه سبحانه محيط بالأشياء عال عليها، فلو وقع عليه الوهم كان محاطاً به، وقوله (وارتفع عن أن تحوي كنه عظمتها فهاهة رويات المتفكرين) فهاهة أي عييت وفه العيي عن حاجته^(١١٥)، ويقال رويت على أهلي أروي رية قال والوعاء الذي يكون فيه الماء إنما هي المزايدة سميت راوية لمكان البعير الذي يحملها^(١١٦)، وهذا كناية عن استحالة إدراك ذاته عز شأنه لأن الإدراك يلزمه

(٣٤٦)..... التلويع الحواري في الخطاب الديني (كتاب التوحيد للشيخ الصدوق أنموذجاً)

الإحاطة والحواية وأن الأفكار الخلق عاجزة عن إدراكه عز شأنه، فالوصول العلمي لشيء يلزم أن يكون محدوداً وأن يمكن الإحاطة به.

ومنه ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(١١٧). قال الصادق عليه السلام: ((استوى من كل شيء، فليس شيء أقرب إليه من شيء، لم يعد منه بعيد، ولم يقرب منه قريب، استوى من كل شيء))^(١١٨).

فقول ((استوى)) كناية عن الاستيلاء التام وسيطرته على كل الموجودات وأن نسبته إلى كل الموجودات بمسافة واحدة.

ومن الكنايات قول الرسول ﷺ: ((سبق العلم، وجف القلم، وتم القضاء بتحقيق الكتاب وتصديق الرسالة والسعادة من الله والشقاوة من الله عز وجل...))^(١١٩).

قوله: ((جف القلم)) كناية عن إتمام المقادير والآجال وكل شيء، وإن ما كتبه الله سبحانه وتعالى لا يتغير لعلمه الأزلي بذلك.

فنجد الخطابات المتقدمة لم تقصد لأجل الأخبار عن الواقع، بل أراد معنى مقصوداً ينتج من خرق المستوى المعجمي؛ ليعطي ثراءً دلاليًا ومعنى ملازماً يصل إليه المتلقي بتدبر وتفكر مع غياب القرينة المرشدة للمعنى المجازي فبذلك يكون مساهماً في إنتاج النص من خلال توقعاته وقراءاته.

٢- قاعدة الملاءمة:

تلزم المتكلم أن يراعي مقام الخطاب بأن يكون كلامه مناسباً لموضوع الحوار، وهي عنصر أساس لفهم الخطاب، ف: ((هي بمثابة حد مقصدي الهدف منها منع المتكلم من أن ينزلق إلى مقاصد أخرى، مخالفة لتلك التي استهدفها الخطاب، أي يراعي علاقة المقال بالمقام))^(١٢٠).

قد يخرق المتكلم هذه القاعدة في التخاطب فيسوغ الكلام على خلاف ما يتوقعها الطرف الآخر، ليلفت الآخر إلى أمر ما، فتكون قاعدة الملاءمة ((أداة يستخدمها المستمع لتأويل أقوال لا علاقة ظاهرة لها مع ما قيل من خلال التبادل))^(١٢١).

لم نجد في خطاب أهل البيت عليهم السلام في كتاب التوحيد خرق لهذه القاعدة إلا شواهداً قليلة

على هذا الخرق، من ذلك ((عن علي عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: التوحيد نصف الدين، واستنزوا الرزق بالصدقة))^(١٢٢) التوحيد بشرطه من سائر الاعتقادات الحققة نصف الدين، والنصف الآخر العمل بما اقتضاه التوحيد، وقوله: (واستنزوا - إلخ) خرج الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عن موضع الكلام ليشير على أن هم الرزق لا يشغلكم عن الدين وتحصيل معارفه والعمل به فإنه مقسوم بينكم مضمون لكم يصل إليكم من رازقكم، فإن قدر عليكم في بعض الأحيان فاستنزوه واطلبوا السعة بالصدقة والإنفاق كما قال تعالى: {وَمَنْ قَدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيَنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ} ^(١٢٣)، وهو بذلك يدفع من يتوهم أن معرفة التوحيد ومراتبه والعمل به توجب تعطيل الناس عن مكاسبهم اليومية وأرزاقهم.

ونجد هذا الخرق في أدعية الأئمة، إذ يخرجون به من وظيفته من الحمد، والشكر والتسبيح، والاستغفار، والتوسل بقضاء الحوائج الدنيوية والأخرية إلى مقاصد أخرى كالتعريف بالتوحيد الحق بوصف الذات المقدسة بما يناسبها كما في دعاء أبي جعفر الصادق عليه السلام ((يا ذا الذي كان قبل كل شيء، ثم خلق كل شيء، ثم يبقى ويفنى كل شيء، ويا ذا الذي ليس في السماوات العلى ولا في الأرضين السفلى ولا فوقهن ولا بينهن ولا تحتهن إله يعبد غيره))^(١٢٤)

ثالثاً: الأفعال الإجازية غير المباشرة

قد لاحظ (سيرل) أنه ((يتواصل المرسل بالأفعال اللغوية غير المباشرة، مع المرسل إليه بأكثر مما يتكلم به في الواقع، وذلك من خلال الإتكاء على خلفيتهم المعرفية المشتركة، اللغوي وغير اللغوية، بالإضافة إلى توظيف المرسل إليه لقدراته العامة؛ العقلية والاستنتاجية))^(١٢٥) فالتوصل إليه يمر بمراحل استدلالية، سنتعرض هنا إلى السؤال البلاغي إذ يعدّ فعلاً إنجازياً يستلزم معنى مخالف لقوته الحرفية.

السؤال البلاغي:

قد فرق علماء اللغة بين الاستخبار والسؤال بأن ((الاستخبار ما سبق أولاً ولم يفهم حق الفهم، فإذا سألت عنه ثانياً كان استفهاماً))^(١٢٦)، وكذلك فرق العسكري بينهما بقوله: ((الفرق بين السؤال والاستفهام أن الاستفهام لا يكون إلا لما يجمله أو يشك فيه، وذلك أن المستفهم طالب لأن يفهم، ويجوز أن يكون السائل يسأل عما يعلم وعمّا لا يعلم

(٣٤٨)..... التلويح الحوارية في الخطاب الديني (كتاب التوحيد للشيخ الصدوق أنموذجاً)

والفرق بينهما واضح))^(١٢٧) ومع علم المستفهم بالجواب يخرج هذا الأسلوب عن معناه الحقيقي المعاني تداولية يريد المتكلم إيقاعها في ذهن المتلقي.

مصطلح السؤال البلاغي من المصطلحات الحديثة في علم الاستعمال اللغوي (التداولية) وهو يساوق الاستفهام المجازي الذي عرفه علماء البلاغة القدماء^(١٢٨)، ومن علماء المحدثين الذين عرفوا السؤال البلاغي ديكرود Ducrot عند تفريقه بين نوعين من الأعمال المشتقة من الاستفهام: أولهما طلباً مشتقاً، والثاني سؤالاً بلاغياً وهو ((الاستفهام الذي لا يحتاج فيه صاحبه إلى الإجابة لبداهتها))^(١٢٩)، وكذلك فرقت أوركوني بين أنواع الاستفهام فجعلته ثلاثة أقسام: الأول ((يتنكر فيه الأمر بقناع الاستفهام، والأخر يقوم الاستفهام بدور الأخبار وهو السؤال البلاغي والصف الثالث، الأسئلة الموجهة يكون المستفهم عنه فيها لا هو معلوم ولا هو بالمجهول))^{١٣٠}.

فالسؤال البلاغي ((هو كل استفهام خرج عن أصل معناه مهما كانت المعاني التي خرج إليها، ومهما كانت أسباب الخروج وأغراضها))^(١٣١) وهذا التعريف يشمل كل أنواع الاستفهام التي أشتقت من الاستفهام الحقيقي كالإنكار والتقرير والتحذير والتحقيق والتوبيخ وغيرها. وهذا ما يجعل الاستفهام من أسس التفاعل الإنساني.

وقد ورد السؤال البلاغي في كتاب التوحيد يحمل معاني تداولية متعددة منها:

أ- التقرير

وهو ((حملك المخاطب على الإقرار بأمر أستقر عنده))^(١٣٢) وهذه الآلية التي يستخدمها المستفهم ليحمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بما يقتضيه السؤال تمر بمرحلتين تعزز أحدهما الأخرى ولا سبيل لإقامة أحدهما دون الأخرى هما التحقيق والتثبيت، والثانية حمل المخاطب على الإقرار بأمر استقر عنده^(١٣٣).

ومما ورد في كتاب التوحيد ((قال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أما إذا أبيت فإني سائلك، أخبرني أكانت رحمة الله للعباد قبل أعمال العباد أم كانت أعمال العباد قبل رحمة الله؟! قال: فقال له الرجل: بل كانت رحمة الله للعباد قبل أعمال العباد، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: قوموا فسلموا على أخيكم فقد أسلم وقد كان

كافراً، قال: وانطلق الرجل غير بعيد، ثم انصرف إليه فقال له: يا أمير المؤمنين أبا المشية الأولى تقوم ونقعد ونقبض ونبسط؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: وإنك لبعث في المشية أما إنني سائلك عن ثلاث لا يجعل الله لك في شيء منها مخرجاً: أخبرني أخلق الله العباد كما شاء أو كما شاؤوا؟! فقال: كما شاء، قال عليه السلام: فخلق الله العباد لما شاء أو لما شاؤوا؟! فقال: لما شاء، قال عليه السلام: يأتونه يوم القيامة كما شاء أو كما شاؤوا؟ قال: يأتونه كما شاء، قال عليه السلام: قم فليس إليك من المشية شيء.)) (١٣٤)

إن لجوء الإمام عليه السلام إلى الأسئلة بالرغم من علمه بالجواب هو شكل من أشكال إلزام، إلزام المسؤول بالجواب والإقرار بما أجاب به بعد أن توهم السائل أن أعمال العباد واقعة بقدر من الله تعالى وهذا يلزم الظلم إذا عذبوا عليها إذ لا محيص لهم عن القدر، فكان جوابه أن أعمال العباد مسبوقه برحمته، مرتبطة بها، مقدره بها كسائر الأشياء، فإن رحمته وسعت كل شيء، فإن كانت مقدره بها فلا معنى لأن يكون في التقدير ظلم، فالجواب يرجع إلى نفي الملازمة بإثبات ضد الظلم في القدر، وحيث أنه عليه السلام نفى التفويض وأثبت القدر توهم الجبر، وقال: (أبالمشيئة الأولى - إلخ) إذ إثبات القدر في الأعمال يستلزم كونها بمشيئته، وهذا من عجيب أمر هذا المبحث إذ نفي أحد الطرفين يجر إلى الطرف الآخر والقرار في الوسط يحتاج إلى قريحة لطيفة وفكرة دقيقة، فأثبت عليه السلام للبعد مشيئة ولله تعالى المشيئة إلا أنها متقدمة حاكمة عليها مؤثرة فيها. وقوله: (فليس إليك من المشيئة شيء) أي ليس شيء من مشيئتك مفوض إليك من دون تأثير مشيئته، وهذا هو الأمر بين أمرين (١٣٥). وقد كرر الإمام عليه السلام عليه الأسئلة البديهية ليرجع السائل إلى فطرته التي الأولى ليكشف ما حدث في نفسه من أوهام مظلمة.

إن مقصود الإمام من الأسئلة لفت انتباه السائل إلى التفكير فيما يسأل عنه والسؤال الذي يفترض أن يسأله هو لنفسه.

ومن ذلك قول الصادق عليه السلام ((عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال في قول الله عز وجل: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يُدُّ اللَّهُ مَعْلُومَةً﴾ لم يعنوا أنه هكذا، ولكنهم قالوا: قد فرغ من الأمر، فلا يزيد ولا ينقص، فقال الله جل جلاله تكذيباً لقولهم: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يُدُّ اللَّهُ مَعْلُومَةً غَلَتْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْعَنُوا بِمَا قَالُوا﴾

(٢٥٠)..... التلويح الحوارية في الخطاب الديني (كتاب التوحيد للشيخ الصدوق أنموذجاً)

يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴿١٣٦﴾ ألم تسمع الله عز وجل يقول: ﴿يُحُوا اللَّهَ مَا يَشَاءُ وَيُخْتِ وَيُتُّ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ ((١٣٦)) (١٣٧) وظف أسلوب الاستفهام ليقرر المعنى المتلقي من خلال استشهاده بالآية القرآنية وتكون حجة له لان المتلقي يقر بصدق القرآن الكريم.

ب - الإنكاري:

قوته الإنجازية غير المباشرة نفي ما بعده، وهو بذلك يقابل الاستفهام التقريري، وقد قسمه الزركشي إلى قسمين ((إبطالي وحقيقي، فالإبطالي أن يكون ما بعده غير واقع ومدعيه كاذب، والحقيقي يكون ما بعدها واقعا، وأن فاعله مذموم)) ((١٣٨)) وفسروا علاقته بالإنكار بقولهم: ((أنَّ المسْتَفْهَمَ عَنْهُ مَجْهُولٌ وَالْمَجْهُولُ مَنْكَرٌ أَيْ مَنْفِيٌّ عَنِ الْعِلْمِ فَاسْتَعْمَلَ لَفْظَ الاسْتَفْهَامِ فِي الْإِنْكَارِ بِهَذِهِ الْمَلَابَسَةِ الْمَصْحُوحَةِ لِلْمَجَازِ الْإِرْسَالِيِّ بِمَعُونَةِ الْقِرَائِنِ الْحَالِيَةِ)) ((١٣٩))

ومن ذلك استنكار الصادق عليه السلام على قول ابن المقفع عندما سأله ((فقلت له: ما منعه إن كان الأمر كما تقول أن يظهر لخلقه ويدعوهم إلى عبادته حتى لا يختلف منهم اثنان ولم احتجب عنهم وأرسل إليهم الرسل؟ ولو باشرهم بنفسه كان أقرب إلى الإيمان به، فقال لي: ويلك وكيف احتجب عنك من أراك قدرته في نفسك نشوؤك ولم تكن وكبرك بعد صغرك...)) ((١٤٠))، فالإمام عليه السلام أنكر على السائل أن يكون الله قد احتجب عن الخلق، وهذا يستلزم أبطال دعوته، فالإنكار هنا إبطالي لأن ما بعده غير واقع ولذا قام الإمام بسرد مجموعة من الأدلة لدحض دعوته.

ومن الاستفهام الإنكاري ما جاء ((عن محمد بن حكيم، قال: وصفت لأبي إبراهيم عليه السلام قول هشام الجواليقي، وحكيت له قول هشام بن الحكم: إنه جسم، فقال: إن الله لا يشبهه شيء، أي فحش أو خناء أعظم من قول من يصف خالق الأشياء بجسم أو صورة أو مخلقة أو بتحديد أو أعضاء؟ ! تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.)) ((١٤١))

فالسؤال الإنكاري الإبطالي والحقيقي في الخطابات السابقة تشرك في موضع واحد وهو تنزيه الباري عز وجل من أوصاف المخلوقين وهو فعل إيقاعي. وهذه الاستفهامات اقترنت بالأدلة فتكون أسئلة حجاجية قادرة على إقناع المخاطب بمضامينها بصورة أكبر.

ج- التعظيم والتهويل:

من المعاني التداولية التي يخرج إليها السؤال البلاغي وتعطي دوراً تداولياً ((بان تحدث انفعالا في نفس المتلقي من خلال تعظيم والتهويل بأسلوب الاستفهام فأداة الاستفهام تحدث في التركيب ما يشبه التيار الكهربائي تزيده الكلمات والحروف وتكرار الاستفهام أحيانا توهجا وتأججا حتى يصل إلى مدى يناسب الموقف وحال الموقف وحال المخاطب والنسق الخاص والسياق العام))^(١٤٢).

قد يخلقهما المتكلم في نفس المتلقي يقصد من ورائهما تعظيم الأمر وخطرته، أو لتعزيز الإيمان بهذا الأمر أو تهويل ما يترتب على إنكاره، أو دفع المتلقي للدفاع عن هذا الأمر كما في قول أمير المؤمنين: ((وأنى يوصف الذي تعجز الحواس أن تدركه، والأوهام أن تناله، والخطرات أن تحده، والأبصار عن الإحاطة به؟ جل عما وصفه الواصفون، وتعالى عما ينعته الناعتون))^(١٤٣) فالله أعظم من أن يوصف بإمكانيات العقل المحدودة وكذلك خطرات الأوهام فالقوة الإنجازية له تعظيم الذات المقدسة وفعله التأثير إيقاع العظمة والهيبة في قلب المخاطب ليتعد عن ما يحصل في نفسه من أوهام، ومن ذلك قوله: ((فلا إله إلا الله من عظيم ما أعظمه، وجيل ما أجله، وعزيز ما أعزه، وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا.))^(١٤٤) قد تكرر أسلوب الاستفهام بالأداة (ما) لمعنى لتعظيم عظمة الله وجلالته، ومن ذلك قوله ﷺ: ((وكيف يوصف من ملائكته من سبعمائة عام ما بين منكيه وشحمة أذنيه، ومنهم من يسد الأفق بجناح من أجنحته دون عظم بدنه، ومنهم من السماوات إلى حجزته، ومنهم من قدمه على غير قرار في جو الهواء الأسفل والأرضون إلى ركبته، ومنهم من لو ألقى في نقرة إبهامه جميع المياه لوسعتها، ومنهم من لو ألقيت السفن في دموع عينيه لجزت دهر الدهرين، فتبارك الله أحسن الخالقين))^(١٤٥).

ومن قول أمير المؤمنين ((فكل ما قدره عقل أو عرف له مثل فهو محدود، وكيف يوصف بالأشباح، وينعت بالألسن الفصاح؟...))^(١٤٦) يبطل أمير المؤمنين ﷺ أن يوصف سبحانه وتعالى بالأشباح المحدودة أو يوصف بالألسن الفصاح كناية عن عجز هؤلاء مع امتلاكهم القدرات البلاغية الكبيرة.

يريد المتكلم إثارة الخوف لدى المتلقي ليكون مانعا من الاعتقاد بالتشبيه أو التجسيم أو

(٣٥٢)..... التلويح الحوارية في الخطاب الديني (كتاب التوحيد للشيخ الصدوق أنموذجاً)

محاولة التفكير في الذات المقدسة الأمر فالقوة الإنجازية للاستفهام هنا تهويل هذا الأمر وفعلها التأثيري حصول الرهبة في قلب المستمع؛ لأبعاد الناس عن الدخول في هذا الطريق المظلم لأنه خارج عن قدرة العقل البشري، كما نصت عليه النصوص.

د- التبيكيت:

يقال: بكتته بالحجة وبكتته، إذا غلبه ويقال بكتته حتى أسكته وألزمه ما عيَّ بالجواب عنه^(١٤٧)، وقد يكون بتوجيه سؤال للمتلقى، ليس بقصد تحصيل الإجابة، وإنما لغرض تعجيزه لأن المتكلم يعلم بدءاً أنه عاجز عن الجواب، قال الزبيدي: ((والسؤال قد يكون للاستعلام وقد يكون للتبيكيت))^(١٤٨).

التبيكيت يراد منه إلزام الخصم وإفحامه بأمر ما عن طريق السؤال عنه كما في الحوار الآتي: ((قال لي هشام بن الحكم: كان زنديق بمصر يبلغه عن أبي عبد الله عليه السلام علم فخرج إلى المدينة ليناظره فلم يصادفه بها، فقليل له: هو بمكة فخرج الزنديق إلى مكة، ونحن مع أبي عبد الله عليه السلام، فقاربنا الزنديق ونحن مع أبي عبد الله عليه السلام في الطواف فضرب كتفه كتف أبي عبد الله عليه السلام، فقال له أبو عبد الله جعفر عليه السلام: ما اسمك؟ قال: اسمي عبد الملك، قال: فما كنيته؟ قال: أبو عبد الله، قال: فمن الملك الذي أنت له عبد، أمن ملوك السماء أم من ملوك الأرض؟! وأخبرني عن ابنك أعبد إله السماء؟ أم عبد إله الأرض؟! فسكت، فقال أبو عبد الله عليه السلام: قل ما شئت تخصم.))^{١٤٩} فهذه الأسئلة جاءت لتبيكيت الخصم الذي أساء التصرف مع الإمام عليه السلام.

ومن ذلك ما جاء في الحوار الآتي: ((حتى أتى باب أبي عبد الله عليه السلام فاستأذن عليه فأذن له، فلما قعد قال له: يا جعفر بن محمد دلني على معبودي، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: ما اسمك؟ فخرج عنه ولم يخبره باسمه، فقال له أصحابه: كيف لم تخبره باسمك؟ قال: لو كنت قلت له: (عبد الله) كان يقول: من هذا الذي أنت له عبد؟ فقالوا له: عد إليه فقل له بذلك على معبودك ولا يسألك عن اسمك، فرجع إليه فقال له: يا جعفر دلني على معبودي ولا تسألني عن اسمي))^(١٥٠)، لم يجب السائل عن اسمه بأنه (عبد الله) لو أجاب لقال له من هذا الذي أنت له عبد، وليس المراد من السؤال ما هو المتبادر إلى الإفهام، إذ لو كان كذلك لأمكن له أن يقول هذا على طريق العادة في وضع الأسماء من دون ملاحظة معنى،

كما في المرتجل من الأسماء، وأن التسمية لم تقع من عندي، وإنما سماني بهذا الاسم أبواي فلا حجة علي، بل المراد أن هذا التركيب الإضافي بحسب الوضع يدل على الخضوع للمعبود المستحق للعبادة لا محالة، لكون اللفظة الشريفة موضوعة لذلك، فالواضع إما هو سبحانه وتعالى أو طائفة من العقلاء، لكون ذلك الوضع وضعاً معقولاً في كمال الإتيان والإحكام لاسيما اللغة العربية، فإن كان الأول ثبت وجود الله سبحانه وتعالى، وإن كان الثاني فهو أيضاً ثابت لأن إجماع العقلاء على الأمر العقلي حكمه ضروري^(١٥١).

الخاتمة:

نظرية التلويح الحوارية فسرت مسألة مهمة شغلت اللغويين ألا وهي كيف يتسنى لنا أن نعني أكثر مما نقول في حواراتنا وفي سياقات مختلفة.

وبعد دراسة كتاب التوحيد للشيخ الصدوق نجد المعاني الملوحة بها في كلام أهل البيت عليهم السلام هي استحالة إدراك العقلي لذاته المقدسة، وإنكار مقولة بأن الصفات خارجة عن الذات المقدسة لما تستلزمه من التحديد والتجسيم، وكذلك تلمح بعض خطاباتهم إلى عظمتهم وقدرته وكرمه وخضوع الخلق لمشيئته وأرادته، وقد وظف أسلوب الاستفهام ليخرج إلى معاني تداولية، وكان كل ذلك بأسلوب غير مباشر بخرق قوانين التخاطب؛ لإثراء النص دلاليًا وتداوليًا، فيكون للنص إيقاعاً مؤثراً على متلقيه ويتمكن من اقناعه؛ لأن الوصول إلى المعنى المقصود يتطلب استنتاج استدلالياً يمر بمراحل متعددة، وهذا ما يجعله أبلغ من التصريح.

Conversational Implicature in Religious Speeches with Reference to Al-Tawheed "Monotheism" by Al-Sheikh Al-Sadduq

Abstract:

The theory of Conversational Implicature has explained a very important issue preoccupied linguists which is how we can mean more than what we say in our conversations and in the various contexts.

After studying Al-Tawheed by Al-Sheikh Al-Sadduq, we have found that the implicatures used in the speeches of the household (PBUH) are to

exalt the Almighty from the possibility of perceiving Him, to refute the saying that the adjectives are out of use for Him as they require specifying and personifying, and to prove His oneness. This is done through a technique not meant to inform about the location, but they expressed a specific meaning resulted from breaching conversational rules. This process gives semantic richness and concomitant meanings reached by the hearer through contemplating. Therefore, the hearer contributes in producing the text via his expectations and anticipations.

هوامش البحث

- (١) ينظر: تداوليات الخطاب السياسي، نور الدين اجعيط: ٨٠.
- (٢) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحل: ٣٢.
- (٣) التداوليات علم استعمال اللغة، إعداد وتنسيق، حافظ إسماعيل: ٣١٦.
- (٤) ينظر: نظرية التلويح الحوارية، هشام عبد الله الخليفة: ٢٦ وما بعدها، والتداولية عند علماء العرب، مسعود صحراوي: ٢٣.
- (٥) ينظر: اللسان والميزان، طه عبد الرحمن: ٢٣٨، التداولية عند علماء العرب: ٢٣، مدخل إلى دراسة التداولية، فرانسيكو يوس، ترجمة يحيى حمدان: ٨١-٨٢.
- (٦) ينظر: التداولية عند علماء العرب: ٢٣، ونظرية التلويح: ٢٧-٢٨.
- (٧) نظرية التلويح،: ٣٠.
- (٨) التداولية اليوم، آنرونول، جاك موشر: ٥٥.
- (٩) ينظر: تداوليات الخطاب السياسي، ٧٨.
- (١٠) نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس، صلاح إسماعيل: ٧٨.
- (١١) المحاوراة مقارنة تداولية، حسن بدوح: ١٥١.
- (١٢) نظرية التلويح الحوارية: ٣٠.
- (١٣) ينظر: البراجماتية اللغوية، ستيفن ليفنسون ترجمة: سعيد بحيري: ١٨٧، والتلويح الحوارية، ٣٤.
- (١٤) الخطيئة والتكفير، عبد الله الغدامي: ٧.
- (١٥) ينظر: التلويح الحوارية: ٣٤-٣٥.
- (١٦) ينظر: البراجماتية اللغوية، ستيفن ليفنسون: ١٨٧، والتلويح الحوارية: ٣٤.
- (١٧) ينظر: نظرية التلويح الحوارية: ٣٤-٣٥.

- (١٨) ينظر: المرجع نفسه: ٣٥.
- (١٩) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ٨٥ .
- (٢٠) ينظر: المرجع السابق: ٨٦، ومقالات في الخطاب التداولي والخطاب: ١٣٠.
- (٢١) مدخل إلى دراسة التداولية: ٣١٥.
- (٢٢) ينظر: البحث اللساني والسميائي، أدريس سرحان: ٧٢.
- (٢٣) مفتاح العلوم، السكاكي: ١٤٧.
- (٢٤) المصدر نفسه: ١٤٧.
- (٢٥) دلائل الإعجاز، الجرجاني: ٢٦٣.
- (٢٦) ينظر: مقالات في التداولية والخطاب: ١٢٢، واستراتيجيات الخطاب: ٣٨٩، وآفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، أحمد المتوكل: ٧٣.
- (٢٧) التداوليات علم استعمال اللغة، احمد المتوكل وآخرون: ٣٠١.
- (٢٨) مدخل إلى اللسانيات التداولية: ٣١.
- (٢٩) ينظر: البرجماتية اللغوية: ٣٤٩.
- (٣٠) استراتيجيات الخطاب: ٣٧٤.
- (٣١) نظرية التلويح الحوارية،: ٥٥.
- (٣٢) ينظر: النقد والدلالة نحو تحليل سيميائي، محمد عزام: ٥٣.
- (٣٣) ينظر: نظرية التلويح الحوارية،: ٥٧.
- (٣٤) ينظر: مغني اللبيب، ابن هشام: ٧٢/١، ومعاني النحو، د. فاضل السامرائي: ١١٨/٤.
- (٣٥) سورة الحجر: ٢٩.
- (٣٦) التوحيد: ١٢٩.
- (٣٧) فصول في الدلالة ما بين المعجم والنحو، الأزهر الزناد: ٦٨.
- (٣٨) نظرية التلويح الحوارية: ٥٦.
- (٣٩) التوحيد: ١٢٩.
- (٤٠) ينظر: المصدر نفسه: ١٧٨.
- (٤١) المصدر نفسه: ٦٨.
- (٤٢) ينظر: شرح توحيد الصدوق، القاضي سعيد محمد القمي: ٤٥٩/٣.
- (٤٣) ينظر: التوحيد: ١١٠.
- (٤٤) التوحيد: ٣١٤.
- (٤٥) سورة البقرة: ٢٢.
- (٤٦) التوحيد،: ٣٩٢.

(٣٥٦)..... التلويح الحوارية في الخطاب الديني (كتاب التوحيد للشيخ الصدوق أنموذجاً)

- (٤٧) المصدر نفسه: ٤١٠.
- (٤٨) المصدر نفسه: ٤١٠.
- (٤٩) المقتضب: المبرد: ٢٧٦/٤.
- (٥٠) ينظر: القاموس الموسوعي التداولي، جاك موشلر، آن ريبول: ٢١٣.
- (٥١) التوحيد: ١٠٢.
- (٥٢) المصدر نفسه: ٦٨.
- (٥٣) ينظر: استراتيجيات الخطاب: ٤٣٠.
- (٥٤) ينظر: نظرية التلويح الحوارية: ٣٣.
- (٥٥) البرغماتية اللغوية: ١٥٢.
- (٥٦) قوله: ((يريد بن النوع من الجنس))، أي يريد القائل بالواحد هكذا الوحدة النوعية التي تنتزع من الأفراد المتجانسة المتماثلة كأفراد الإنسان، ينظر: هامش كتاب التوحيد: ٨١.
- (٥٧) التوحيد: ٨١.
- (٥٨) المصدر نفسه: ١٦٥.
- (٥٩) التوحيد: ٢٨٣.
- (٦٠) المصدر نفسه: ٥٦.
- (٦١) مفتاح العلوم: ٢٤٨.
- (٦٢) التوحيد: ٣٥١.
- (٦٣) المضمرة، كاترين أوركيوني: ٣٥١.
- (٦٤) التوحيد: ٢٠.
- (٦٥) ينظر: شرح توحيد الصدوق: ٢١/١.
- (٦٦) التوحيد: ٢٨١.
- (٦٧) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٣٥.
- (٦٨) التداوليات علم استعمال اللغة: ١٦٤.
- (٦٩) محاضرات في فلسفة اللغة، عادل فخوري: ٢٤.
- (٧٠) البرغماتية اللغوية: ١٤٧.
- (٧١) التوحيد: ٢٤٣.
- (٧٢) المصدر نفسه: ٢٤٣.
- (٧٣) المصدر نفسه: ٢٤٤.
- (٧٤) قد ذكر الراوي أن السائل كان زنديقاً، ومن خلال مطالعتنا لكتاب التوحيد رأينا أسئلة كثيرة من قبل الزناقة مما يدل على كثرتهم في عصر الصادقين. ينظر، التوحيد: ٢٣٨ وما بعدها.

- (٧٥) التوحيد: ٢٢٣.
- (٧٦) المصدر نفسه: ٢٢٣.
- (٧٧) المصدر نفسه: ٢٢١.
- (٧٨) أدعية الصحيفة السجادية دراسة تداولية، عمار حسن عبد الزهرة، رسالة ماجستير، كلية التربية للعلوم الإنسانية في جامعة كربلاء: ٥٣.
- (٧٩) التوحيد: ٧٣
- (٨٠) لسان العرب، ابن منظور، مادة (حس).
- (٨١) لسان العرب، ابن منظور، مادة (جس)
- (٨٢) شرح توحيد الصدوق، القاضي محمد سعيد: ٣١٠/١.
- (٨٣) التوحيد: ٤٧.
- (٨٤) ينظر: المصدر نفسه (في الهامش): ٤٧.
- (٨٥) المصدر نفسه: ٢٧، الحديث (٢٣).
- (٨٦) التوحيد: ١٠.
- (٨٧) ينظر: نور البراهين في شرح التوحيد، نعمة الله الجزائري: ٣٦٧/١.
- (٨٨) بلاغة الخطاب الإقناعي، حسن المودن: ٢٦٣.
- (٨٩) ينظر: المرجع نفسه: ٢٦٢.
- (٩٠) العمدة، ابن رشيقي: ٢٦٦/١.
- (٩١) التداولية اليوم علم جديد في التواصل،: ٤١-٤٢.
- (٩٢) بلاغة الخطاب الإقناعي: ٢٦٩.
- (٩٣) ينظر: التداولية اليوم علم جديد في التواصل: ٤١.
- (٩٤) ينظر: بلاغة الخطاب الإقناعي: ٢٧٠.
- (٩٥) التشبيه والاستعارة منظور مستأنف، يوسف أبو العدوس: ١٥.
- (٩٦) ينظر: الصورة الفنية في المثل القرآني، محمد حسين الصغير: ١٦٧.
- (٩٧) مجهول البيان، محمد مفتاح: ٤٠.
- (٩٨) التوحيد: ٣٠٧.
- (٩٩) سورة الحجر: ٢٩.
- (١٠٠) التوحيد: ١٦٧.
- (١٠١) ينظر: المصدر السابق (الهامش): ١٦٧.
- (١٠٢) أسرار البلاغة: ٤١-٤٢.
- (١٠٣) دلائل الإعجاز: ٦٧.

(٣٥٨)..... التلويح الحوارية في الخطاب الديني (كتاب التوحيد للشيخ الصدوق أنموذجاً)

- (١٠٤) النظرية البنائية في النقد العربي، صلاح فضل: ٢٨.
- (١٠٥) التوحيد: ٧٠.
- (١٠٦) المصدر نفسه: ٤٩
- (١٠٧) الصناعتين، أبو هلال العسكري: ٢٧٤
- ١٠٨ ينظر: اللغة والخطاب، عمر أوكان : ٢١٩
- (١٠٩) المصدر نفسه: ٧١
- (١١٠) مفتاح العلوم، السكاكي: ٤٠٢.
- (١١١) ينظر: التعبير البياني رؤية بلاغية نقدية، شفيع السيد: ١٥٧.
- (١١٢) مفتاح العلوم،: ٤١١.
- (١١٣) التوحيد: ٥١.
- (١١٤) ينظر: لسان العرب، مادة (وقع)
- (١١٥) المصدر نفسه، مادة (فهه)
- (١١٦) المصدر نفسه، مادة (روي)
- (١١٧) سورة طه: ٥.
- (١١٨) التوحيد، الشيخ الصدوق: ٣٣١.
- (١١٩) المصدر نفسه: ٣٠٨
- (١٢٠) الاستلزام الحوارية في التداول اللساني، العياشي أدوري: ٩٩-١٠٠.
- (١٢١) مدخل إلى دراسة التداولية: ٩٣.
- (١٢٢) التوحيد: ٦٧.
- (١٢٣) سورة الطلاق: ٧.
- (١٢٤) التوحيد: ٤٨
- (١٢٥) استراتيجيات الخطاب: ٣٩٢.
- (١٢٦) البرهان في علوم القرآن: ٣٢٦/٢.
- (١٢٧) الفروق اللغوية: ٢٨.
- (١٢٨) ينظر: مفتاح العلوم: ٤١٦
- (١٢٩) الحجاج في الخطاب السياسي، عبد العالي قادا، ٢٦٨.
- (١٣٠) السؤال البلاغي، بسمه بلحاج: ١٢.
- (١٣١) المرجع نفسه: ١٢.
- (١٣٢) البرهان في علوم القرآن: ٢٣١/٢.
- (١٣٣) ينظر: السؤال البلاغي: ٢٤٣.

- (١٣٤) التوحيد: ٣٥٥ وما بعدها.
- (١٣٥) ينظر: هامش كتاب التوحيد: ٣٥٦ .
- (١٣٦) سورة المائدة: ٦٤ .
- (١٣٧) التوحيد: ٣٩ .
- (١٣٨) البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٣٤١.
- (١٣٩) مواهب المفتاح في شرح تلخيص المفتاح، ابن يعقوب المغربي: ٢٩٦ .
- (١٤٠) التوحيد: ١٢٣.
- (١٤١) المصدر نفسه: ٩٦ .
- (١٤٢) الأساليب الإنشائية وإسرارها البلاغية في القرآن الكريم، صباح عبيد: ١٢٦ .
- (١٤٣) التوحيد: ٦٠ .
- (١٤٤) المصدر نفسه: ٤٥ .
- (١٤٥) المصدر نفسه: ٢٧٢ .
- (١٤٦) المصدر نفسه: ٧٧ .
- (١٤٧) ينظر: أساس البلاغة (بكت) ١/ ٤٨، وينظر تاج العروس، الزبيدي (بكت)، ١/ ٤٤٦
- (١٤٨) تاج العروس، الزبيدي، (سأل)، ١٥٧/٢٩
- (١٥٢) التوحيد: ٢٨٧
- (١٥٠) المصدر نفسه: ١٢٠
- (١٥١) ينظر: شرح توحيد الصدوق: ٢/ ٣٨٦

قائمة المصادر والمراجع

- استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، عبد الهادي الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٤ م .
- الاستلزام الحوارية في التداول اللساني من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها، العياشي أدوري، دار الأمان، الرباط، ط١، ٢٠١١ م .
- أسرار البلاغة، الإمام عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ)، قرأه وعلق عليه محمود شاکر، مطبعة المدني في القاهرة، دار المدني في جده، ط ١، ١٩٩١ م .
- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠١١ م .

- البحث اللساني والسيميائي، أدريس سرحان، عالم الكتاب الحديث، أربد - الأردن، ط١، ٢٠٠١ م.
- البرجماتية اللغوية، ستيفن ك. ليفنسون، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط٣٣، ٢٠١٥، البرهان في علوم القرآن، الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (٧٩٤ هـ)، تحقيق محمد إبراهيم أبو الفضل، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط٣، ١٨٨٤ م.
- بلاغة الخطاب الإقناعي نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب، حسن المودن، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، الأردن- عمان، ط١، ٢٠١٤ م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض الملقب بمرتضى الزبيدي (١٢٠٥ هـ) تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية، (د.ط)، (د.ت).
- تداوليات الخطاب السياسي، نور الدين اجعيط، عالم الكتاب الحديث، أربد - الأردن، ط١، ٢٠١٢ م.
- التداوليات علم استعمال اللغة، إعداد وتنسيق، حافظ إسماعيل، عالم الكتاب الحديث، أربد - الأردن، ط١، ٢٠١١ م.
- تداولية الخطاب السردية (دراسة تحليلية في وحي القلم للرافعي)، محمود طلحة، عالم الكتاب الحديث، أربد - الأردن، ط١، ٢٠١٢ م.
- التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن رويول، جاك موشر، ترجمة سيف الدين دغفوس، ومحمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٣.
- التداولية عند العلماء العرب (دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث العربي)، مسعود صحراوي دار الطليعة، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٥.
- التشبيه والاستعارة منظور مستأنف، يوسف أبو العدوس، دار المسيرة، عمان- الأردن، ط١، ٢٠١٠ م.
- التعبير البياني (رؤية بلاغية نقدية)، شفيع السيد، دار الفكر العربي، ط١، ١٩٨٢ م.
- التلويح الحوارية (بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي)، هشام عبد الله الخليفة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠١٣ م.
- الحجاج في الخطاب السياسي: الرسائل السياسية الأندلسية خلال القرن الهجري الخامس أنموذجاً، عبد العالي قادا، كنوز المعرفة للنشر، عمان - الأردن، ط١، ٢٠١٥ م.
- الخطيئة والتكفير، عبد الله الغدامي، النادي الثقافي، جدة، ط١، ١٩٨٥ م.

- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الإمام عبد القاهر الجرجاني (٤٧١ هـ)، تحقيق، د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتاب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠١م.
- السؤال البلاغي الإنشاء والتأويل، بسمه بلحاج رحومة الشكلي، دار محمد علي للنشر بالاشتراك مع المعهد العالي للغات تونس، ط١، ٢٠٠٧م.
- شرح توحيد الصدوق، القاضي سعيد محمد بن محمد مفيد القمي، صححه وعلق عليه د. نجف قليجبيبي، مؤسسة الطباعة والنشر لوزارة الثقافة والإرشاد الإيرانية، إيران- طهران، ط١، ١٣٨٤، ٣ هـ. ش.
- الصناعتين (الكتابة والشعر)، أبو هلال العسكري، تحقيق علي محمد بجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت - لبنان، (د.ط)، ١٩٨٦م.
- الصورة الفنية في المثل القرآني، محمد حسين الصغير، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد، بغداد، ط١، ١٩٨١م.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه وتقده: أبو الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (٤٥٦ هـ) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجليل، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٨م.
- الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري (٣٩٥ هـ)، تحقيق الشيخ بيت الله بيات، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، إيران- قم، ط١، ١٤١٢ هـ.
- فصول في الدلالة ما بين المعجم والنحو، الأزهر الزناد، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت - لبنان، دار محمد علي للنشر، تونس، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠١٠م.
- القاموس الموسوعي التداولي، جاك موشلر، وأن ريبول، ترجمة مجموعة من الأساتذة والباحثين بإشراف عز الدين المجدوب، المركز الوطني للترجمة تونس، دار سيناتر، تونس، ط١، ٢٠١٠م.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن أبو الفضل جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (٧١١ هـ)، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٤ هـ.
- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، مركز الثقافة العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ١٩٩٨م.
- اللغة والخطاب، عمر أوكان، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠١١م.
- محاضرات في فلسفة اللغة، عادل فخوري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠١٣م.
- المحاوره مقارنة تداولية، حسن بدوح، عالم الكتاب الحديث، أربد - الأردن، ط١، ٢٠١٢م.

(٣٦٢).....التلويح الحوارية في الخطاب الديني (كتاب التوحيد للشّيخ الصدوق أنموذجاً)

- مدخل إلى اللسانيات التداولية، الجيلالي دلاش، ترجمة محمد يحيان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ط)، ١٩٨٦ م .
- مدخل إلى دراسة التداولية (مبدأ التعاون ونظرية الملائمة والتأويل)، فرانسيكو يوس راموس، ترجمة وتقديم يحيى حمدان، دار ينور للطباعة والنشر والتوزيع، العراق، ط٢٠١٤، ١٠ م .
- المضمّر، كاترينكيدبرات أوركيوني، ترجمة ريتا خاطر، مراجعة د. جوزيف شريم، المنظمة العربية المتحدة، بيروت - لبنان، ط٢٠٠٨، ١٠ م .
- معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، مطبعة دار الحكمة للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٨٩ م .
- مغني اللبيب عن كتب الأعراب، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف جمال الدين بن هشام (٧٦١ هـ)
- مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي (٦٢٦ هـ)، تحقيق د. عبد الحميد هندراوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠٠٠ م .
- مقالات في التداولية والخطاب، عمر بالخير، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ط)، (د.ت)
- المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (٢٨٥ هـ)، تحقيق محمد عبد الخالق عظيمه، جمهورية مصر، وزارة الأوقاف، القاهرة، ط١٩٩٤، ٣ م .
- نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس، صلاح إسماعيل، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر، القاهرة، ط٢٠٠٥، ١٠ م .
- النقد والدلالة نحو تحليل سيميائي للأدب، محمد عزام، منشورات وزارة الثقافة، مكتبة الأسد، دمشق، (د.ط)، ١٩٩٦ م .
- نور البراهين أو أنيس الوحيد في شرح التوحيد، نعمة الله الجزائري، تحقيق السيد مهدي الرجائي، مؤسسة النشر الإسلامي التابع لجماعة المدرسين في قم، قم - إيران، ط١٤١٧، ١٠ هـ، ق .